

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة سطرداية

كلية العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

دروس في مادة: التاريخ السياسي للمغرب

مقدمة لطلبة السنة الأولى ماستر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

في السداسي الأول

الرتبة: أستاذ محاضر أ

من إعداد الأستاذ:

واتس صلاح الدين

الموسم الجامعي: 1443-1444هـ/2022-2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

دروس في مقياس:
التاريخ السياسي للمغرب
مقدمة لطلبة السنة الأولى ماستر
تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
السداسي الأول

الرتبة: أستاذ محاضر أ

من إعداد الأستاذ:

وانس صلاح الدين

الموسم الجامعي: 1443-1444هـ/2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أهمية المادة ومكانتها في التخصص:

يعتبر التاريخ السياسي للمغرب في العصر الإسلامي الوسيط من المواضيع الهامة جدا، فدارس التاريخ يجب أن يبدأ ويستفتح دراسته بالتاريخ السياسي لكي يفهم باقي الجوانب المذهبية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وأحاول من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية الموجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ملمة هذا الموضوع الذي لديه حيز جغرافي كبير، فبلاد المغرب تمتد من الحدود المصرية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر المتوسط شمالا إلى لصحراء الكبرى جنوبا بالإضافة إلى جزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية، ويدرس هذا الموضوع في مدة زمنية طويلة تمتد لأكثر من تسعة قرون من سنة 22هـ/643م وهو تاريخ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى غاية سقوط الدولة الحفصية على يد الأتراك العثمانيين سنة 981هـ/1573م.

وتشمل هذه المدة من الدراسة مواضيع كثيرة وهي الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، عصر الولاة في بلاد المغرب، الدول المستقلة عن المشرق والمتمثلة في الدولة المدرارية، والرستمية والإدرسية، كما ندرس دولة الأغالبة التي كانت موالية للخلافة العباسية في المشرق، ثم الدولة العبيدية (الفاطمية) التي وجدت كامل بلاد المغرب الإسلامي، ثم ندرس الدولة الزييرية في المغرب الإسلامي، والدولة الحمادية في المغرب الأوسط، والدولة المرابطية في المغرب الإسلامي، ثم الدولة الموحدية والتي وحدت هي الأخرى كامل بلاد المغرب الإسلامي، وتشمل الدراسة أيضا الدول الثلاث التي ظهرت في المغرب بعد سقوط دولة الموحدين وهي الدولة الحفصية، الزبانية، والمرينية.

ومن المؤكد أن موضوع التاريخ السياسي للمغرب لا يدرس بمعزل عن باقي أصقاع الأرض مثل دول وممالك أوروبا، ودول بلاد المشرق الإسلامي وخاصة الأندلس الذي تربطه بدول المغرب الإسلامي علاقة وطيدة وعلاقة تأثير وتأثر كبيرين خاصة في الجانب السياسي.

أما المنهجية التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، وتخلل هذا السرد منهج التحليل لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفية، وكثفت من الاستشهاد بالنصوص في المتن والهامش إما دعما لرأي أو مساندة لاستنتاج ومن أجل تبسيط المعلومات وترسيخ الحقائق.

دراسة لمصادر تاريخ المغرب:

تتعدد المصادر التي يعتمد عليها في دراسة تاريخ وحضارة المغرب والأندلس من الناحية السياسية ومن الناحية الحضارية فهناك المصادر المباشرة او المصادر التي تتحدث عن الموضوع بصفة مباشرة او الحادثة التاريخية او الكائنة بعينها او قطر معين او معركة معينة أو تاريخ أسرة معينة أو ما كان في منوال ذلك، وهذا النوع من المصادر يشمل كتب التاريخ العام المطولة كالحوليات مثل تاريخ ابن خلدون أو ابن عذارى، أو الكتب التي تخص فترة معينة أو دولة معينة، وهناك مصادر اخرى غير مباشرة ولكنها تحمل في طياتها كثيرا من المعطيات عن تاريخ المنطقة جغرافيا او اقتصاديا او اجتماعيا او معلومات عن شخصيات فاعلة وبارزة في تاريخ المغرب والاندلس وهذا النوع يشمل عدة اصناف من المصنفات تتمثل في: كتب التراجم والطبقات، وكتب الجغرافيا والرحلات، وكتب النوازل والفتاوى، وكتب الانساب، وكتب الملل والنحل او كتب الفرق والاديان، وكتب الفكر السياسي، وكتب الشعر والادب وكتب الفهارس، وستتناول كل صنف على حدى مع ذكر اهم المصادر التي دونت فيه من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ق: 03هـ/ 09م الى غاية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر ميلادي ق: 11هـ/ 17م.

الدرس التمهيدي (حصة تعريفية بمحاور ومحتوى المادة)

1- إسم المادة ورمزها المعتمد في المقرر الوزاري: التاريخ السياسي للمغرب

2- مكانة المادة ضمن برنامج الدراسة:

- الوحدة التعليمية: الأساسية

- عدد المحاضرات السداسية: أربعة عشر محاضرة

- الحجم الساعي الأسبوعي: ساعة ونصف والسداسي: واحد وعشرون ساعة

- المستوى المستهدف بها: السنة الأولى ماستر الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

- طريقة التقييم فيه: امتحان كتابي للمحاضرة وتقييم مستمر للأعمال الموجهة.

- معامل المقياس: 03، الأرصدة: 05

3- الأهداف المرجوة من تدريس المقياس:

- كسب معلومات تعد أرضية تاريخية لموضوع الماستر
 - تعرف الطالب على التاريخ السياسي للغرب الإسلامي من الفتح إلى مجيء العثمانيين.
- 4- المعارف المطلوب اكتسابها مسبقا لمتابعة سير الدروس:

- تعميق المعارف التي اكتسبها الطالب في مرحلة اللسانس.
- يعد هذا المقياس أرضية أساسية لمواد باقي السداسيات: اقتصادية، اجتماعية، ثقافية....
- اكتساب معارف تمكن الطالب من فهم التحولات السياسية التي عرفتها بلاد المغرب

5- المصادر والمراجع الأساسية للمادة:

أ- المصادر:

1: كتب التاريخ العام:

- 1- فتوح افريقية للواقدي ابو عبد الله محمد بن عمر المدني (ت: 206هـ / 821م).
- 2 -فتوح مصر والمغرب والاندلس، لابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 204هـ / 819م).
- 3-فتوح البلدان، للبلاذري، احمد بن يحيى (ت: 279هـ / 892م).
- 4 -تاريخ الامم والملوك، للطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ / 923م).
- 5-صلة تاريخ الطبري، لعريب بن سعد القرطي (ت: 369هـ / 980م).
- 6 -افتتاح الدعوة، لابن حيون التميمي (ت: 363هـ / 974م). وهو خاص بالدعوة العبيدية بالمغرب. وله كتاب خاص بسيرة الحاكم العبيدي المعز تحت عنوان كتاب المجالس والمسائرات.
- 7-تاريخ افتتاح الاندلس، لابي بكر بن القوطية. الى غاية 323هـ في خلافة عبد الرحمن الناصر الاموي.
- 8 -اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امراءها، لمؤلف مجهول وهو كتاب مهم عن فتح الأندلس وتاريخ الدولة الاموية الى غاية 350هـ.
- 9- تاريخ افريقية والمغرب، للريق القيرواني ابي اسحاق ابراهيم بن القاسم.
- 10 -نقط العروس في تواريخ الخلفاء، لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ / 1064م).
- 11- المقتبس في اخبار بلد الاندلس، لابن حيان القرطي ابو مروان حيان بن خلف بن حسين وهو من اعظم مؤرخي الاندلس.
- 12-التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، للأمير المظفر ابي محمد عبد الله بن بلقين اخر ملوك دولة بني زيري بغرناطة.
- 13-كتاب العبر لابن ابي الفياض ابو بكر احمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله (ت: 459هـ).
- 14 -تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين وظهور المهدي بالموحدين، لابن صاحب الصلاة عبد الملك بن محمد بن احمد الباجي (ت: 594هـ / 1198م). وهو من اهم مؤرخي الدولة الموحدية.

15- اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، للبيدق ابو بكر بن علي الصنهاجي (ت حوالي 555هـ/1160م).

16- فرحة الانفس في تاريخ الاندلس، لابن غالب الاندلسي محمد بن ايوب بن غالب الغرناطي(ت: 571هـ/ 1175م).

17 - المعجب في تلخيص اخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، محي الدين بن علي التميمي (ت: 625هـ/1228م).

18- نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، لابن القطان المراكشي ابو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني.

19- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، للصنهاجي، ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت: 626هـ/1230م).

20 - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، لابن عدّاري المراكشي ابي العباس احمد بن محمد (كان حيا سنة 712هـ/ 1312م (وهو من اعظم مؤرخي الاندلس وكتابه من اهم مصادر المغرب والاندلس).

21* ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي (ت: 776هـ/1374م) له مجموعة من المصادر المهمة في تاريخ المغرب والاندلس منها:-

22- الاحاطة في اخبار غرناطة،

23- وكتاب رقم الحلل في نظم الدول.

24 - وكتاب اللوحة البدرية في الدولة النصرية. وله مصادر اخرى سنذكرها في صنف التراجم وغيره.

25- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لابن ابي زرع الفاسي ابو الحسن علي بن عبد الله. كان على قيد الحياة في فترة السلطان المريني ابي سعيد الاول 710-731هـ/1310-1331م.

26- وله مؤلف اخر تحت عنوان: الدّخيرة السّنية في تاريخ الدولة المرينية.

27- زواهر الفكر وجواهر الفقر، لابن المرابط ، محمد بن علي بن عبد الرحمن المرادي ، يشتمل على رسائل اندلسية منها ما يتعلق بالدولة الموحدية.

28- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، لابن خلدون ابي زكريا يحيى بن محمد الحضرمي وهو اخو المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون (ت: 780هـ/1378م).

29- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن، لابن مرزوق التلمساني الخطيب. ابو عبد الله محمد بن احمد (ت: 781هـ/1380م) بالقاهرة. يتحدث عن سيرة السلطان ابي الحسن المريني.

30- جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس، لابي الحسن علي الجزائري كان حيا سنة 766هـ/1365م.

31- الحلل الموشية في الاخبار المراكشية، لابن السماك العاملي ابو القاسم محمد بن ابي العلاء الغرناطي.

32- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، للعلامة ابن خلدون، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت: 808هـ/1406م). يشمل جزء المقدمة والباقي موسوعة تاريخية من البدء الى عصر المؤلف.

33- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، لابن قنفذ القسنطيني، ابو العباس احمد بن حسين بن علي الشهير بابن الخطيب (ت: 809هـ/1406م). وهو كتاب الفه للسلطان الحفصي ابي فارس عبد العزيز. وله مؤلفات اخرى سنذكرها في صنف التراجم.

34- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، للمقرئزي، ابي العباس تقي الدين احمد بن علي (ت: 845هـ/1441م). وهو تاريخ مفصل عن العبيديين ونسبهم وتاريخهم في المغرب ومصر. فيه حفظ الكثير من نصوص المؤرخين المفقودة.

35- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، للزركشي، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤي التونسي كان حيا سنة 894هـ/1488م.

36- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، للتنسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت: 899هـ/1494م).

37- نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، لابي العباس احمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ/1641م) وهو موسوعة عن تاريخ الاندلس من النواحي الاجتماعية والفكرية والادبية.

هذا بالنسبة للمصادر الاساسية المباشرة وقد تم اغضاء الطرف عن ذكر المصادر المفقودة وهي كثيرة جدا، وهناك اصناف اخرى من المصادر المهمة في تاريخ المغرب والاندلس سنحاول ذكر بعض النماذج او اهمها عن كل صنف.

2/ كتب التراجم

38- اخبار الفقهاء والمحدثين، للخشني، محمد بن حارث بن اسد القيرواني الاندلسي (ت: 361هـ/971م). وله كتاب اخر في التراجم كذلك عنوانه:

39- قضاة قرطبة وعلماء افريقية.

40- طبقات النحويين واللغويين، للزيدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشر الزيدي من قبيلة زيد اليمنية، الاشبيلي الاندلسي (ت: 379هـ/989م).

41- تاريخ علماء الاندلس، لابن الفرضي، ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي (ت: 403هـ/1013م).

42- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، للحميدي، الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي نصر بن عبد الله الازدي، (ت: 488هـ/1095م ببغداد).

43- طبقات الامم، لابن صاعد الاندلسي، ابي القاسم صاعد بن احمد (ت: 462هـ/1070م).

44- كتاب الصلة، لابن بشكوال، ابي القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود الانصاري (ت: 578هـ/1183م) ويعتبر من اعظم علماء الاندلس .

45- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، للقاضي عياض المالكي، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ/1150م).

46- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، لابن بسام الشنتري، ابي الحسن علي من مدينة شنترين الاندلسية، (ت: 542هـ/1148م).

47- فلائد العقيان ومحاسن الاعيان، للفتح بن خاقان، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الاشبيلي (ت: 529هـ/1135م). وله كتاب اخر:

48- مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس. وهو تكملة لكتاب القلائد.

49- بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، للضيي، ابو جعفر احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الاندلسي. وهو تكملة لكتاب المقتبس للحميدي.

50- سير مشايخ المغرب، للوسيانى، وهو ابو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني نسبة الى قبيلة وسيان الزناتية. وهو كتاب يخص تراجم الاباضية.

51- كتاب السير واخبار الائمة، للورجلاني، ابي زكريا يحيى بن ابي بكر من مدينة ورجلان(ورقلة حاليا) وهو كتاب تراجم لاعلام الاباضية ومذهبهم

52- كتاب طبقات المشايخ، للدرجيني، ابو العباس احمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلقف . وهو كتاب تراجم للاباضية كذلك.

53- الاكمال والاعلام في صلة الاعلام بمجالس الاعلام من اهل مالقة الكرام، لابن دحية، ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي الكلبي السبتي (ت: 633هـ / 1235م).

54- الحلة السيرة، لابن الاثار، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658هـ / 1260م بتونس). ويعتبر من اعظم علماء وكتاب الاندلس هو صاحب السينية المشهورة في رثاء مدن الاندلس. جزءين من الحجم المتوسط.

55- له كتاب اخر في التراجم اسمه: التكملة لكتاب الصلة، وهو تكملة لكتابي الصلة لابن بشكوال وكتاب ابن الفرضي المذكور انفا. اربعة اجزاء من الحجم المتوسط.

56- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد الغرناطي (ت: 685هـ / 1274م). وهو يترجم لاصناف كثيرة من الادباء والشعراء والولاة والوزراء حسب كل بلدة.

57- وله كتاب اخر في التراجم عنوانه: رايات المبرزين وغايات المميزين. وهو كتاب تراجم اندلسية.

58- الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة، لابي الحسن علي بن موسى الاندلسي (ت: 685هـ).

59- عيون الانبياء في طبقات الاطباء، لابن ابي اصيبعة، احمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي الشامي (ت: 668هـ) ترجم فيه لاطباء مغاربة.

60- اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، لابن الخطيب المذكور سالفا.

61- وله كتاب الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة.

62- كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، للمراكشي ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت: 703هـ/1303م) بتلمسان وهو تكملة للكتابين المذكورين من تراجم حتى عصر المؤلف.

63- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، للنباهي، علي بن عبد الله بن محمد .

64- كتاب الوافي بالوفيات، للصفدي، ابو الصفا صلاح الدين خليل بن ابيك من صفد في فلسطين (ت: 764هـ/1363م) يقع في 30 مجلدا وحوالي 4000 ترجمة وهو تكملة لوفيات ابن خلكان. ذكر تراجم 149 من المغاربة

65- الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، لابن فرحون المالكي، ابراهيم بن علي بن محمد المدني (ت: 799هـ/1397م).

66- مستودع العلامة ومستبدع العلامة، لاسماعيل بن يوسف بن محمد بن الاحمر الغرناطي (ت: 808هـ/1405م). وهو تراجم لكتاب الانشاء وطقوس ختم الرسائل الرسمية. وله كتاب:

67- نثر الجمال في شعر من نظمنا واياهم الزمان. يحتوي على 74 ترجمة. وله ايضا:

68- نثر فرائد الجمال في نظم فحول الزمان يحتوي 30 ترجمة.

69- كتاب الوفيات، لابن قنفذ القسنطيني المذكور انفا

70- كتاب السير، للشماخي ابي العباس احمد (ت: 928هـ/1522م) وهو تراجم لاعلام الاباضية الوهبيين.

ويمكن الافادة من كتب التراجم في تاريخ المغرب والاندلس من خلال ذكر الكثير من الاحداث او الازواض الاجتماعية والاقتصادية التي تؤرخ لهذه الجوانب كما ان كثيرا من الاشخاص المترجم لهم كانوا اشخاص فاعلين في تحريك عجلة التاريخ كالسلطين والوزراء والولاة والكتاب وغيرهم.

3/ كتب الجغرافيا والرحلات:

هو نوع مهم جدا من أنواع المصادر التي تعتمد لدراسة تاريخ وحضارة المغرب والأندلس لما فيها من وصف المدن والمسافات بينها وهيكلها المعمارية، والطرق التجارية ومراكزها، والعادات والتقاليد والمبادلات التجارية ناهيك عن حديثها عن بعض الوقائع التاريخية فهي بحق مصدر مهم عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والفكري وحتى السياسي ويوجد فيها معلومات لا تتوفر في مصادر التاريخ العام واهمها:

71- المسالك والممالك، لابن خرداذبة، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله الفارسي (ت: 300هـ/912م).

72- كتاب صورة الارض، او المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، لابن حوقل ابي القاسم محمد البغدادي (ت: 380هـ).

73- المسالك والممالك ، للاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخي الفارسي (ت: 346هـ).

74- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، للمقدسي، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت: 387).

75- كتاب وصف الاندلس، لابن لقيط الكاتب، وهو احمد بن محمد الرازي (ت: 344هـ).

76- ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، لابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس العذري (ت: 478هـ/1085م).

77- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، للادريسي، الشريف ابي عبد الله السبتي (ت حوالي: 558هـ/1163م).

78- الاستبصار في عجائب الامصار، لمؤلف مجهول من القرن السادس هجري 12 ميلادي.

79- كتاب الجغرافية، للزهري، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت: بعد سنة 546هـ).

80- معجم البلدان، لياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: 626هـ/1228م).

81- الروض المعطار في خبر الاقطار، للحميري، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله الحميري التونسي (ت: 726هـ/1326م).

82- تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، لابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت: 770هـ/1329م).

4/ كتب الفتاوى والنوازل:

تعتبر كتب النوازل وهي الكتب المتخصصة في تدوين الفتاوى المتعلقة بالمستجدات والقضايا الاجتهادية التي تطرأ على الفقهاء في ازمة مخصوصة وقضايا مخصوصة من المصادر المهمة في تدوين تاريخ المغرب والاندلس وكشف احداث خاصة فيما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي في عادة ما طرح معضلات وقضايا اجتماعية في الاسرة او قضايا اقتصادية في المجتمع تعبر من خلال ذلك على واقع معين في هذه المجالات مما يفتح المجال امام المؤرخين لاستنتاجات كثيرة وقيمة في هذا المجال.

83- نوازل الأحكام، لابن سهل، أبو الأصبع عيسى بن عبد الله الأسدي الجيانيا الأندلسي (ت: 486هـ).

84- "الإعلام بالمحاضر والأحكام، وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام للقاضي ابن دبوس الزباني الإفريقي (ت: 511هـ/1117م)

85- نوازل ابن رشد أبي الوليد القرطبي (ت: 520هـ/1126م).

86- نوازل ابن الحاج بن أحمد بن خلف التجيبي القرطبي، (ت: 529هـ/1135م).

87- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، للقاضي عياض (ت: 544هـ/1149م)

88 - ومن اهم كتب النوازل في بلاد المغرب كتاب: نوازل الونشريسي احمد بن يحيى (ت: 914هـ/1508م):

المسمى ب: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب.

5/ مصادر الشعر والادب:

تتضمن هذه الكتب مجموعة هائلة من قطع الشعر والنثر والرسائل بمختلف اغراضها وحتى الرسائل الرسمية الديوانية وهي تعطي في مجموعها معلومات مهمة عن التاريخ السياسي والاجتماعي وتاريخ النظم والادارة الاسلامية في بلاد المغرب والاندلس واهمها:

89 - كتاب العقد الفريد، لابن عبد ربه، ابي عمر بن حبيب (ت: 328هـ/940م).

90 - زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر، لصفوان بن ادريس بن ابراهيم التجيبي المرسي (ت: 598هـ/1202م).

91- المطرب من اشعار اهل المغرب، لابن دحية ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي الكلبي السبتي (ت: 633هـ/1235م).

92- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، للسان الدين بن الخطيب السلماني المذكور انفا.

93- نهاية الارب في فنون الادب، للنويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي (ت: 732هـ/1332م). وهو موسوعة كبيرة.

94-صبح الاعشى في صناعة الانشا ، للقلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت: 821هـ/1418م). وهو موسوعة ضخمة.

6/ كتب الانساب:

تناول انساب القبائل وفروعها واصولها وانتشارها الامر الذي يعطينا لمحة عن تاريخ التمدن والمجتمعات واصولها العرقية خاصة فيما يتعلق بالقبائل العربية وتوزعها في بلاد المغرب والاندلس وكذا نظرة عن اصل القبائل البربرية وعلاقتها بالقبائل العربية عرقيا وتاريخيا ومنها:

95- كتاب النسب الكبير، لابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكوفي (ت: 204هـ/819م).

96- جمهرة انساب العرب، لابن حزم الظاهري الاندلسي المذكور انفا.

97-نهاية الارب في معرفة انساب العرب، لابي العباس القلقشندي المذكور انفا.

7/ مصادر الفرق والحركات المذهبية:

وهي مصادر تدرس تاريخ ظهور الفرق الاسلامية واصولها الفكرية وانتشارها وفروعها واثارها الفكرية والسياسية على العالم الاسلامي في المشرق والمغرب والاندلس. ومنها:

98- كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل، لابن حزم الاندلسي .

99- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي

100- الملل والنحل ، للشهرستاني

8/ الفكر السياسي او كتب الاحكام السلطانية:

وهي كتب تتحدث عن الممالك وتنظيماتها ومايتعلق بكل جزء منها من شروط واحكام وكيفية التعامل بين الراعي والرعية وهي تتناول بعض الاخبار عن السلاطين وممالكهم والنظم الادارية وكيفية ادارتها كنظام الوزارة والولاية والحجابه والكتابة وغيرها من الانظمة وبيان شروطها واحكامها. ومنها:

101- سراج الملوك، للطروشوي، ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الاندلسي (ت: 520هـ/1126م).

102- الزهراء المنثورة في نكت الاخبار المنثورة، لابن السماك العاملي.

103- رسالة في القضاء والحسبة، محمد ابن عبدون التجيبي .

104-رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، احمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف.

105- رسالة في الحسبة، للجرسيقي عمر بن عثمان بن العباس.

106- في اداب الحسبة، للسقطي .

9/ كتب البرامج والفهارس:

وهي مصادر تتحدث عن الكتب التي كانت تدرس في نظام التعليم انذاك والكتب المؤلفة في العلوم المختلفة والشيخ والعلماء المعنيون بتدريسها في كل مدرسة والتلاميذ الذين تلقوا عنهم العلم، وبالتالي هي كتب تتحدث عن نظام التعليم وتاريخه عن كل فترة الف فيها مصدر من هذه الكتب وقد الف كثير من العلماء المغاربة والاندلسيين من هذه المصادر يروي فيها كل مؤلف التفاصيل الدقيقة عن تلقيه العلم وامتهانه مهنة التعليم ومن بين هذه الكتب:

107- الفهرس للكتب المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف، لابن خير الاشبيلي، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة (ت: 575هـ / 1179م).

108- برنامج شيوخ الرعيبي، لابن الفخار ابي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيبي (ت: 666هـ/1268م).

109- المعجم في اصحاب القاضي ابي علي الصديقي، لابن الابار الاندلسي المذكور سابقا.

ب-المراجع:

- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية- منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/11م-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د/ط، 1979.
- الدشراوي فرحات، الخلافة الفاطمية (296- 365هـ / 909- 975م)،- التاريخ السياسي والمؤسسات-، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب، بيروت، ط1، 1994م.
- آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، الجزء الثاني، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

6-محتوى المادة:

الدرس التمهيدي: حصة تعريفية بمحاور ومحتوى المقياس.

الدرس الأول: نبذة تعريفية عن المغرب الإسلامي

الدرس الثاني: التحولات السياسية في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى قبيل مجيء العثمانيين

الدرس الثالث: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

الدرس الرابع: عصر الولاية أبعاده وآثاره على المغرب

الدرس الخامس: الدويلات المستقلة الأسباب العوامل والآثار

الدرس السادس: دول المستقلة (ق 2- 04هـ/8-10م): آل صالح بناكور، ، الأغالبة.

الدرس السابع: الرستميون، المدراريون، برغواطة

الدرس الثامن: الأدارسة، الفاطميون.

الدرس التاسع: الدول المستقلة بعد القرن الرابع الهجري الزييريون، الحماديون.

الدرس العاشر: المرابطون، الموحدون.

الدرس الحادي عشر: دول ما بعد الموحدين

الدرس الثاني عشر: الأبعاد الحضارية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب

الدرس الثالث عشر: آثار الفتح الاسلامي لبلاد المغرب

الدرس الرابع عشر: نظم الحكم في بلاد المغرب

الخاتمة.

الدرس الأول: نبذة تعريفية عن المغرب الإسلامي

عناصر الدرس:

تمهيد

المدلول التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي

التركيبة السكانية في المغرب الإسلامي

أولاً: تمهيد: كان المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى قبيل مجيئ العثمانيين تابعاً للخلافة المركزية بالمشرق، وانفصل عنها عندما دبّ الضعف في أوصالها في آخر أيامها، وكان مسرحاً لعدد من الأحداث فقد قامت عليه دول وسقطت أخرى، ورسمت معالم وتغيرت أخرى، فما هو المدلول اللغوي والتاريخي والإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي، وما هي تركيبته السكانية خلال هذه الفترة، كل هذا وغيره سنحاول التطرق إليه وبسط الكلام عنه في هذه المحاضرة.

ثانياً: المدلول التاريخي والإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي.

1- المغرب لغة: عكس المشرق وهو المكان الذي تغرب منه الشمس¹، ويعتبر الفاتحون أول من أطلق هذا المصطلح على الأراضي المقابلة للمشرق بدايةً بمصر ونهايةً بالمحيط الأطلنطي بلاد المغرب للتفريق وضبط الحدود وتحديد المسؤوليات، ولكي يساعد في التقسيم الإداري والإشراف التنظيمي.

2- مدلول كلمة بلاد المغرب جغرافياً وتاريخياً: المقصود بالمغرب جغرافياً هي المناطق التي تمتد من الحدود الغربية لمصر، وحتى شواطئ المحيط الأطلسي، سكنها البربر وسيطر عليها البيزنطيون، وقد احتلها الرومان، ثم جاء الإسلام لفتح تلك الأراضي بدايةً من عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

¹ - الغرب والمغرب، بمعنى واحد، ابن سيده، الغرب خلاف الشرق، وهو المغرب. وقوله تعالى: "رب المشرقين ورب المغربين"، أحد المغربين: أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف، ابن منظور، لسان العرب، ج 11، الطبعة الثانية، دار صادر، لبنان بيروت، 1414هـ/1994م، ص 24 وما بعدها.

والمراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد¹، أي ما يقع إلى غرب عاصمة الخلافة الإسلامية. وحدد ابن عذاري بلاد المغرب الإسلامي جغرافياً من ضفة النيل بالإسكندرية إلى مدينة سلا². وقد عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء متعددة، إذ أطلق الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدتهم طاقة (أوتيكاً) والقرطاجيون اسم (أفري). وعنهم أخذها اليونان فأطلقوها على جميع سكان المغرب ابتداءً من غرب مصر حتى بحر الظلمات. ومنها اشتق اسم (أفريقية) أي بلاد الأفري. ثم أخذ مدلول هذه اللفظة في الاتساع ليتماشى مع اتساع نفوذ الغزاة الرومان حتى شمل بلاد المغرب معظمها.

ولقد ظهر هذا اللفظ كتقسيم اصطلاحى في الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العباسية عندما قسم الخليفة المهدي دولته بين ولديه الهادي والرشيد فعمد للهادي بالمشرق (أذربيجان وأرمينية)، وعمد للرشيد بالمغرب (من الأنبار إلى إفريقية)³، بالإضافة إلى لفظ المغرب أطلق المسلمون على هذه المناطق المفتوحة لفظ إفريقية للدلالة على جميع الأقاليم التي تلي إقليم طرابلس غرباً. وقد كتب والي مصر عمرو بن العاص كتاباً إلى الخليفة عمر بن الخطاب⁴ بعد دخول مدينة طرابلس يستأذنه فيه بمواصلة الزحف غرباً وجاء فيه "لقد بلغنا طرابلس وبينهما وبين إفريقية تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل"، وعرف اللفظ نفسه في عهد عثمان بن عفان الذي سمح بغزوها⁵، ثم تحدد مدلولها لتعني الإقليم الذي نشأت فيه فيما بعد مدينة القيروان، في عهد معاوية بن أبي سفيان خلال بناء عقبة بن

1 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 1، ص 54.

2 - وينقسم أقاليمها: فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمارة وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ويقال أيضاً بلاد الزاب الأعلى ويلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها إلى مدينة تيهرت ويلىها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلا وهي آخر المغرب وإذا جرت سلا وأخذت إلى ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة وأخذت منها قافلاً إلى قبلة فتسمى تلك البلاد تامسنا ويقال لها أيضاً بلاد السوس الأدنى = وحدها إلى جبل درن وإذا جرت هذا الجبل فعن يمينك، ينظر، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق احسان عباس، ج 1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1983م، ص 5.

3 - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج 1، ص 61.

4 - أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان...، ج 1، تحقيق، حسين مؤنس ص 5.

5 - أبو بكر المالكي، المصدر نفسه، ج 1، ص 9، 8.

نافع لها حيث قال عقبة: "إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر¹

3-المغرب عند المؤرخين والجغرافيين العرب:

ويعرفه موسى لقبال: أما مصطلح المغرب فيرتبط ظهوره بعصر الفتنة بين علي ومعاوية، أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، ويظهر أنه استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، الذي كان يشمل مصر بملحقاتها، والشام وما جاوره، ويقابله من الناحية الأخرى المشرق الإسلامي الذي كان يشمل العراق وفارس وما وراء النهر.

وابن الأثير يشير إلى أن عليا أثناء استعداده في الكوفة لحرب معاوية في الشام خاطب رجاله بقوله: "تجهزوا للسير إلى عدوكم من أهل المغرب"، وأرسل إلى عامله على البصرة -ابن عباس- يأمره بالاستعداد وتهيئة الناس ويقول له: "قد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب".

أما اطلاق مصطلح المغرب على نطاق شمال افريقية كله أو جزء منه فأغلب الظن أنه لم يقع قبل القرن الثالث الهجري أي في عصر ابن الحكم صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب الذي أشار في حديثه عن نشاط معاوية بن خديج بقوله: "خرج إلى المغرب لعد ابن أبي سرح....." وكذلك في معرض حديثه عن حسان بن النعمان ومجهوداته في المنطقة.

وبينما يميز بن عذارى المراكشي بين مصطلحات افريقية والمغرب والأندلس، نلاحظ أن الاصطخري يعتبر المغرب نصفين، نصفاً شرقياً هو شمال افريقيا ونصفاً غربياً هو الأندلس، ويجمعها في مصور جغرافي واحد(خريطة واحدة).

4-المغارب الثلاث: هذا وقد وضع المؤرخون والجغرافيون مصطلحا جديدا لبلاد المغرب إذ

بني على تقسيمه إلى ثلاثة أقسام وهمية، أي مجرد معلومة يتناقلونها بدون وضع حدود طبيعية إضافية

1- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة، ج.س. كولان وليفي بروفنسال، ص19.

بين تلك الأقسام، كالشريف الادريسي الذي يحدد بداية ونهاية المغرب الثلاث صراحة وضمناً، لتسهيل الدراسة وتقسيمها فقط.

وقد جاء التقسيم بحسب قربها وبعدها عن عاصمة الدولة الإسلامية المركزية إلى:

أ- **المغرب الأدنى:** وهو أول أقاليم المغرب الإسلامي، وأقربها إلى مركز الخلافة الإسلامية، سواء أكانت العاصمة المدينة المنورة أم دمشق أو بغداد. ويمتد هذا الإقليم من مدينة طرابلس حتى مدينة بجاية غرباً، وقاعدة هذا الإقليم مدينة القيروان في عهد تأسيسها وعهد حكم الأغالبة، ثم المهديّة أيام حكم الفاطميين ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى يومنا هذا.

ب- **المغرب الأوسط:** وسمي بالأوسط لكونه يتوسط المغربين الأدنى والأقصى، وحدود هذا الإقليم من بجاية حتى وادي ملوية وجبال تازة، وقاعدته مدينة تلمسان. وكانت عاصمة المغرب الأوسط تباعاً حسب الأسر الحاكمة، إذ كانت تيهرت في عهد الدولة الرستمية من الخوارج الإباضية، ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة تلمسان غرباً أيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع الهجري. (إضافة بني حمّاد).

ج- **المغرب الأقصى:** ويمتد هذا الإقليم من وادي ملوية حتى مدينة آسفي، على ساحل بحر الظلمات. وعاصمة المغرب الأقصى تناوبت بين فاس أيام الأدارسة، والتي أسست عام 172هـ، ثم جاء المرابطون فأسسوا مدينة مراكش، واتخذوها عاصمة لهم، وتبعهم الموحدون على ذلك.

ثالثاً: التركيبة السكانية في المغرب الإسلامي

1- **سكان المغرب قبل الفتح الإسلامي:** وكان المغرب قبل الفتح الإسلامي موطناً لصنفين

من البشر، هما:

أ- **البربر:** وهم أهل الإقليم الأصليين، كانت مواطن البربر في بلاد الشام قبل الهجرات التي قاموا بها، حيث انتقلوا بعد ذلك إلى منطقة شمال أفريقيا، وأوّل ما ساروا إلى بلاد المغرب نزلوا في موضع كان يعرف باسم الونية ومراقية في غرب مصر بعيداً عن نهر النيل، ومن تلك المنطقة انتشروا في جميع منطقة شمال أفريقيا وصولاً إلى أقصى المغرب على شواطئ المحيط الأطلسي، وقد وصلوا إلى جزر صقلية.

ومفتاح شخصية هذا البربري هو تمسكه بحريته، يدافع عنها بإصرار، وتاريخه يُنبئ عن هذا، ومقاومته ضد الرومان والبيزنطيين نجحت أحياناً في بعض المناطق، فتأسست على أساسها دويلات بربرية مستقلة، ولم يُثن البربر عن ثورتهم طوال فترة الثورة التضحيات بالروح والمال.

ب- البيزنطيون: وهم المحتلون للإقليم، وكان تمركزهم في المناطق الساحلية أكثر من وجودهم داخل البلاد.

2- سكان المغرب بعد الفتح الإسلامي: لكن بعد الفتح الإسلامي تغيرت التركيبة السكانية لترسم خارطة جديدة لمجتمع المغرب الإسلامي، فأصبح خليطاً مزيجاً من البربر الأمازيغ السكان الأصليين الأوائل والعرب الذين وفدوا إلى المغرب عن طريق الفتح الإسلامي والهجرات الهلالية بالإضافة إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى. وكانوا مقسمين كالتالي:

أ- البربر: يتكون البربر من قسمين هما البتر والبرانس، ومن أهم قبائل البتر زناتة ولواتة ومطغر ومديونة، أما قبائل البرانس فهي صنهاجة وأوربة ومصمودة وكتامة وتمركزوا في المغربين الأدنى والأوسط بشكل كبير بالإضافة إلى المغرب الأقصى والصحراء.

ب- العرب: تواجد العرب في المغرب الإسلامي مع الفتح الإسلامي، كما أسلفت الذكر وتمركزوا في المدن دون البوادي، وتضاعف عددهم في آخر الخلافة الأموية عندما حاول الأمويون قمع ثوار البربر ونشر الإسلام في ما يعرف بفترة (حكم الولاة) ولم يتمكن العرب من تغيير تركيبة سكان المغرب وأريافه إلا بعد منتصف القرن 5هـ/11م، عندما أرسل الفاطميون قبائل بني سليم للانتقام من الدولة الزيرية الصنهاجية في إفريقية (تونس حالياً)، واستقرت قبائل زغبة ورياح في برقة وطرابلس، كما استقر بنو هلال في تونس وما يليها غرباً، فكان لسليم الشرق ولهلال الغرب.

ج- أهل الذمة (النصارى واليهود): و استقروا في المدن الكبرى كمدن الساحل التونسي ومدينة فاس التي كانت مركز اليهود منذ تأسيسها.

كما استقرّ النصارى في بلاد الجريد بإفريقية منذ أيام الفتح الإسلامي وظلوا هناك حتى أيام الدولة الزيانية.

الدرس الثاني: التحولات السياسية في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى قبيل مجيء العثمانيين.

عناصر الدرس:

- التحول الأول الكبير.

- التحول الفكري والمذهبي.

- مظاهر سيطرة الوحدة السياسية.

- التفكك والانقسام.

أولاً: التحول الأول الكبير: لقد كان أول وأكبر تحول شهده المغرب وهو الانقلاب من الكفر إلى الإسلام، على مستوى العقيدة وقد ألقى بظلاله على الجانب السياسي، فتحول نظام الحكم من الهمج وسيادة قانون الغاب القوي يأكل الضعيف وتحكم النظام القبلي في كل مفاصل الحياة المغربية، وتصارع القبائل فيما بينها، إلى حكم منظم تحت سلطة مركزية في المشرق يسيرها والي قائم بالحكم بأمر الخلافة المركزية يكون تابعاً لها في الأحكام والمراسيم، واستمر هذا الأمر من الفتح إلى قبيل ظهور الدويلات المستقلة عندما اضطرت أحوال المغرب..

والجددير بالذكر أن المغرب لم يكن بمنأى عن الصراعات على الحكم وتأثيرات القبلية، كفتنة مقتل عثمان وصراع القيسية واليمينية، وقد أثرت سلبيًا أو إيجابًا على الحياة السياسية في المغرب.

وقد مرّ الحكم الإسلامي لبلاد المغرب قبيل ظهور الدويلات المستقلة بمراحل:

1-مرحلة الفتح الإسلامي: وقد مرّ بمرحلتين

أ-المرحلة الاستكشافية

ب-مرحلة الفتح المنظم

2-حكم الولاة

ثانياً: التحول الفكري والمذهبي وأثره على الحياة السياسية.

1-المذهب الإباضي: نتيجة لبعض الظروف والملابسات استطاع الفكر الإباضي أن يكون له موضع قدم في بعض أقطار المغرب، ونتيجة سياسة بعض ولاة الخلافة المركزية التعسفية والاستبدادية وجد هذا الفكر صدها وأقنع قطاعا واسعا من الناقلين على بني أمية وبني العباس، ليس إيمانا بفكرهم واتباعا لمذهبهم وإنما انتقاما من بني أمية وبني العباس، واستطاع هذا الفكر أن يشكل جبهة معارضة للخلافة المركزية من حيث المذهب ومنفصلة سياسيا عن الحكم، وكللت جهودهم بترجمتها في الواقع بإقامة دولتين مستقلتين عن الخلافة المركزية تمثلت في:

أ-الدولة الرستمية بتاهرت(144-296هـ/761-908م) بزعامة عبد الرحمان بن رستم.

ب-الدولة الصفيرية: أو دولة بني مدرار في سجلماسة (140 . 349هـ / 757 . 960م) بزعامة أبو القاسم سمكو مؤسس دولة الخوارج الصفيرية في سجلماسة (جنوب المغرب).

2-المذهب الشيعي: تعرض الهاشميون(العباسيون والعلويون) إلى إقصاء من بني أمية وضيقوا عليهم ومراقبة تحركاتهم وقمع أي ثورة أو معارضة مؤيدة لأفكارهم، فاتفق الهاشميون سرا على إسقاط دولة

+بني أمية وإقامة دولتهم، وتم لهم ذلك من خلال اقتناع قطاع واسع من الخرسانيين والكوفيين إلى الانخراط في دعوتهم وإعطاء البيعة لهم من خلال "الرضا من آل البيت" وهم الذين تطلق عليهم المصادر التاريخية بالشيعة وهم الأنصار أو المريرين.

وبوصول العباسيين إلى الحكم انقلبوا على أبناء عموماتهم وناصبوهم العدا وعاملوهم نفس معاملة الأمويين بل أشد من ذلك، فحق فيهم قول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة...على النفس من الحسام المهند

فما كان من قادة العلويين إلا الفرار إلى الأماكن البعيدة في آسيا والمغرب، فاستغل هؤلاء الزعماء والقادة حب الناس لآل البيت إلى درجة التقديس أحيانا لأغراض سياسية فتمكنوا مع أنصارهم الشيعة من خلال بعث الدعاة والمبشرين من تهيئة الظروف لإقامة دولتين معارضتين للخلافة المركزية في المشرق، تخالفها في العقيدة ولا تشبهها في نظام الحكم وهما:

أ-دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى (مراكش): (172 . 375 هـ / 788 . 985م):
فرَّ إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من الحجاز، وقد نجا من موقعة فخ عام

169هـ / 785م، إلى المغرب الأقصى حيث استطاع أن يؤسس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية عام 172هـ،
وبنى في المكان المعروف باسم جراوة مدينة فاس، واتخذها عاصمة له

ب-الدولة الفاطمية: أسَّسها أبو عبدالله الداعي الشيعي الإسماعيلي، بعد أن مكث في المغرب الإسلامي عشر سنوات يبشّر بالمهدي المنتظر، المتمثّل في أبي عبدالله المهدي أوّل قائد للدولة. اتخذت من القيروان عاصمةً لها، وقضت - كما ذكرنا - على دول بني رُستم والأدارسة والأغالبة، من سنة 297-341 هـ/909-952م، ثم وجّهت قواها نحو مصر، فغزاها " المعزّ لدين الله"، وفي عهدها أسّس " جوهر الصقلي "مدينة القاهرة، وتمّ تشييد الجامع الأزهر بها، وبقيت هذه الدولة قائمةً حتّى أطاح بها صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - سنة 567هـ.

3-المذهب المالكي: استفاد المذهب المالكي بشكل كبير من دعم السلطة السياسية له في الانتشار والهيمنة على حياة الناس الفقهيّة، وهو ما عبّر عنه ابن حزم في رسائله بقوله الشهير "مذهبنا انتشرا بالسيف، مذهب أبي حنيفة في المشرق، ومذهب مالك في المغرب"، ووجد المذهب المالكي تأييداً كبيراً من السلطة في المغرب الإسلامي في العديد من الفترات التاريخية، خاصة في عصري الحماديين والمرابطين، وقد وجد الفقهاء سهولة كبيرة وظروفاً مهيأة لنشره وبنه في الناس، فقد انتشر الفقه المالكي على يد الفقيه سحنون التنوخي، الذي عُين على القضاء عام 234 هـ في دولة الأغالبة (حكام تونس في القرن الثالث الهجري)، ليستخدم سحنون السلطة في نشر المذهب المالكي وتضييق الخناق على المذاهب المنافسة، مثل الشيعة والخوارج، حسب ما يذكر حسن بن صالح الصمادحي في كتابه "الإمام المازري". أما في أواسط القرن الخامس الهجري، فقد عاود المذهب المالكي الانتشار مرة أخرى في المغرب الكبير بعد فترة من التراجع أمام الدعوة الإسماعيلية الناشئة، وذلك لأن والي إفريقيا المعز بن باديس كان قد أعلن عام 441 هـ خلع لطاقعة الدولة الفاطمية التي يحكم أئمتها من القاهرة، وتبرأ من المذهب الإسماعيلي "حاملاً أهل بلاده على مذهب مالك حسماً لمادة الخلاف..."، وفق الذهبي في سيره، وظل مهيمناً في القرن الخامس حتى سقوط المرابطين.

والحق أن المذهب المالكي لم يكن يعرف انتشاراً في بلاد المغرب بفرض من السلطة الرسمية فحسب، لولا وجود التفافاً شعبياً من أهل المغرب لقربه من حياتهم وملائمته مع طباعهم ولاتسامه بالوسطية والاعتدال في الحكم، ناهيك إلى الميل القلبي والعاطفي لأن مؤسسه من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: مظاهر سيطرة الوحدة السياسية.

عندما أتم الفاتحون فتح بلاد المغرب الإسلامي توحدت تحت راية الإسلام يحكمه وال تعيينه الخلافة المركزية في المشرق.

لكن بسبب سياسة بعض الولاة الجائرة حرّض الكثير من سكان المغرب على الفوضى والثورة والتمرد على الوالي والخلافة المركزية، فعمت الفوضى والقتال والفتن أرجاء المغرب، مما سهل انتشار أفكار ومذاهب أخرى منافسة ومزاحمة لأهل السنة والجماعة ومخالفةً لسلام أهل المغرب السليم، فتمزق أحزابا وشيعا وتطور الأمر إلى نشوء دويلات منفصلة ومستقلة ومهددة في بعض الأحيان للخلافة المركزية.

وظل حلم الوحدة يراود الكثير من أهل المغرب وبذل لأجله الكثير من المساعي، ودفعت أثمان باهضة من التضحيات، وتحقق ذلك على يد أمير المرابطين يوسف بن تاشفين.

وسار خلفاءهم الموحدون على نفس السيرة، والتمسوا من التوحيد شعارا لدولتهم واسما لصيقا بهم، وتطور مفهوم الوحدة من العقيدة والدين إلى السياسة بزعامة عبد المؤمن بن علي وخلفائه

رابعا: التفكك والانقسام:

بعد انهيار دولة الموحّدين انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث دول مستقلة عن بعضها في الحكم ومتفقة في العقيدة والمذهب:

1- دولة الحفصيين في افريقية (تونس): اسسها ابو بكر بن ابي محمد بن ابي حفص تضم تونس و طرابلس الغرب و الشرق الجزائري عاصمتها تونس، ويعتبر الانفصال الرسمي عن دولة الموحدين بالنسبة للحفصيين على يد أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي دامت سنة 625-941هـ/1228-1534م.

2- دولة المرينيين في المغرب الأقصى: اسسها بنو مرين و بسطت نفوذها على المغرب الاقصى على يد أبو يحيى بن عبد الحق عاصمتها فاس و بعد هزيمة الموحدين زحفوا إلى الشمال وأعلنوا استقلالهم واستولوا على مراكش دامت 591-957 هـ/1195-1550م.

3- الدولة الزيانية في المغرب الأوسط (الجزائر): أسسها إيغمراسن زيان في 633هـ، واتخذت مدينة "تلمسان" عاصمةً لها، ودامت ثلاثة قرون، كلُّها حروب مع الجيران والإسبان أي 633-796 هـ/1335-13 هـ

الدرس الثالث : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

ظروف وخصوصيات فتح بلاد المغرب:

من خلال استقراء المصادر الخاصة بالفتح الإسلامي لبلاد المشرق والمغرب الإسلاميين نجد فرقا شاسعا بين ظروف ومدة فتح بلاد المشرق والتي لم تبلغ مدة عشر سنوات حتى أصبحت اغلب بلاد الشرق بيد المسلمين وعلى رأسها بلاد وارااضي الامبراطورية الفارسية، ولم تنته خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى وصلت جيوش المسلمين الى اقاصي الشرق في بلاد ما وراء النهرين (سيحون وجيحون).

وهذه مدة قصيرة جدا اذا ما قورنت بالفترة التي استغرقها المسلمون في فتح المغرب ثم بلاد الاندلس والتي تمتد في بلاد المغرب من سنة 21هـ الى غاية 86 هجرية اضافة الى فتح الاندلس من سنة 92هـ الى غاية 96 هجرية اي ما يقرب من ثمانين سنة كاملة وهذا يعود لعدة عوامل منها:

صعوبة تضاريس بلاد المغرب وبعدها عن مركز الخلافة الإسلامية في المشرق خلاف البيئة الصحراوية التي عاش فيها العرب الفاتحون.

ومراس العنصر البربري وصعوبة انصياغه وما كان يمتاز به من الشدة والبأس فهو مشابه الى حد كبير للعنصر العربي في كثير من الطباع البشرية والاخلاق كالانفة والاباء وعدم الرضوخ خاصة وان البربر اعتقدوا ان مجيء المسلمين الى بلادهم ما هو الا مجرد استعمار كبقية الحركات الاستعمارية التي توالت على بلاد المغرب القديم والذي اختتم بالاستعمار البيزنطي الذي انتهى بالفتح الإسلامي.

يضاف الى ذلك عرقلة البيزنطيين لعملية الفتح من خلال تحالفهم في بعض الاحيان مع بعض زعماء البربر او القيام بحملات مستقلة ضد عملية الفتح مع ما يتوفر عليه الجيش البيزنطي من امكانيات عسكرية معتبرة كما ان الاضطرابات السياسية التي كانت تحدث في المشرق وبالخصوص في عواصم الخلافة انذاك الحجاز في فترة الخلافة الراشدة ودمشق في الفترة الاموية ، بداية من فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم حرب الجمل وصفين، يضاف اليها الاضطرابات التي واجهت الدولة الاموية كحركة الخوارج وابن الاشعث ودولة عبد الله بن الزبير اضافة الى الاضطرابات داخل البيت الاموي في حد ذاته، كلها اضطرابات اخرت امدادات الجيوش لتسريع عملية الفتح.

ولا ننسى عاملا آخر أحرّ عملية الفتح الى غاية بداية النصف الثاني من القرن الاول اي حتى سنة 50هـ الا وهو عدم وجود مناطق استقرار للجيوش الاسلامية في المناطق المفتوحة، حيث كانت ترجع هذه الجيوش الى طرابلس شرقا مما شجع اهالي المناطق المفتوحة على الانتفاض وعدم الثبات على الاسلام الى غاية انشاء عقبة بن نافع الفهري لمدينة القيروان بين عامي (50 و 55 هـ) التي اصبحت مستقرا للجيوش الاسلامية الفاتحة، فاعتبر ذلك حدا فاصلا بين مرحلتين متميزتين في فتح المغرب الا وهما مرحلة الاستطلاعات الى غاية 50هـ ومرحلة الفتح المنظم بعد هذا التاريخ الى غاية افتتاح كامل المغرب، وفيما يلي تفصيل لهذين المرحلتين في فتح المغرب.

مراحل الفتح :

يمكن تقسيم مراحل فتح بلاد المغرب إلى ثلاث مراحل وهي :

- 1- مرحلة الاستكشاف ومحاولة الفتح 22-50هـ/643-650م.
- 2- مرحلة الاستقرار وبناء القيروان 50-55هـ/650-375م.
- 3- مرحلة التوغل واستكمال الفتح 55-92هـ/675-711م.

فتوحات عمرو بن العاص :

أسباب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب :

هناك أسباب عديدة أهمها :

- تأمين الحدود المغربية للدولة الإسلامية الحديثة، حيث دعت الضرورة الحربية والى مصر الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى التوجه بنظره نحو الحدود المغربية لمصر تحديدا لإقليم برقة لتأمين قاعدة المسلمين الجديدة بمصر الفسطاط من هجمات البيزنطيين¹.
- القضاء على أطماع البيزنطيين في استرجاع مصر من أيدي المسلمين، وهذا باستعمال بلاد المغرب منطلقا لهجماتهم².

¹ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 18.

² عبد الرحمان بن محمد الجبلاي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ط4، ج1، ص 121-122.

- رغبة الفاتحين بقيادة عمرو بن العاص في مواصلة الفتح لنشر الدين الإسلامي في بلاد المغرب، ولم يكن إصرار عمرو بن العاص على مواصلة الفتح التماسا للغنائم التي تعود عليه وعلى جنده من الفتح كما يردد ويزعم المستشرقين ومن يرى رأيهم من المؤرخين¹.

أما فتح عمرو بن العاص مصر سنة 20هـ/641م واتخذ من الفسطاط قاعدة لجيوشه، أرسل البعوث والسرايا والطلائع لاستكشاف بلاد المغرب، وللتعرف على سكانها فأرسل أول بعثة بقيادة عقبة بن نافع الفهري² الذي رجع إليه بأخبار مشجعة عن المنطقة وسكانها من قبيلة لواتة البربرية، فأتجه عمرو بن العاص بنفسه على رأس جيش ففتح مدينة برقة صلحا على أساس قبول أهلها الواتيين دفع جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار³، كما فتح عقبة بن نافع أيضا مدينة زويلة صلحا وكان هذا سنة 22هـ/643م، ثم واصل عمرو الفتح بالقرب من الساحل حيث مواطن قبائل هواره ونفوسة وفزان وزواغة في سرت، وطرابلس وصبراتة وأحرز فيها النجاح⁴.

وعزم عمرو بن العاص على مواصلة الفتح عندما تكتمل عدته ويكثر جنوده، ويستطلع أيضا رأي الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فكتب إليه يستأذنه في التقدم إلى إفريقية حيث قال "إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"، فكتب إليه الخليفة ينهأ عن مواصلة الفتح وقال له "ماهي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بما لا يغزوها أحد ما بقيت"⁵.

وعن سبب رفض الخليفة عمر مواصلة الفتح يرجع إلى رغبته في التريث حتى تستقر الأمور ولأن ظروف الدولة الإسلامية الناشئة لا تسمح بفتح جبهات كثيرة للقتال مع العدو لقلة جيوش المسلمين آنذاك، ولاتساع

¹ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 08.

² هو ابن خالة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ولد في أوائل الهجرة فاعتبر لذلك صحابي المولد، تولى إمارة جيش المسلمين في المغرب مرتين، المرة الأولى 50-55هـ/670-675م، والمرة الثانية 62-64هـ/682-684م. أنظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق، محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ط1، ص 41، هامش 1، مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ط1، ص 83-84.

³ يذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص خير أهل لواتة بأن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم للفاتحين لقاء سداد الجزية المفروضة عليهم. أنظر: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، دت، ج1، ص 229.

⁴ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 230-231. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط1، مج2، ص 428-429.

⁵ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 232. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان، إ. ليفي برونفسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3، ج1، ص 08.

مساحة بلاد المغرب، وطبيعة بلاد المغرب الجغرافية الصعبة، وطبيعة أهلها الذين يرفضون كل أنواع الاستعباد، بالإضافة إلى محاولة الروم في مصر نقض العهد مع المسلمين¹.

ورغم أن نشاط عمرو في المنطقة لم يشتمل على معارك حاسمة، ولا على سياسة تهدف إلى الاستقرار الفعلي في بلاد المغرب، إلا أنه لم يغير الشيء الكثير من عقائد السكان ولا من ولاء أغلبهم إلا أنه قبل عودته إلى مصر ترك عقبة بن نافع في برقة داعياً ومرشداً إلى الإسلام، ومتخذاً من برقة قاعدة موالية للمسلمين².

فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي سرح :

في عهد ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري على مصر عام 25هـ/646م³ استأذن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أن يزحف على ما وراء البلاد الليبية في اتجاه إفريقية فأذن له، فأرسل ابن أبي سرح الكثير من الطلائع، بلغ تعداد بعضها عشرة آلاف جندي ولكنها لم تقدر على التواغل في إفريقية لكثرة أهلها، وقد تبين للمسلمين من هذه الطلائع معلومات توضح أن هذا الأمر في حاجة إلى استعداد أكثر⁴.

وفي سنة 27هـ/648م بعث الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بجيش كبير من المدينة لفتح بلاد المغرب وقاده من المدينة إلى مصر الحارث بن الحكم وفيه كثير من الصحابة فتولى قيادة الجيش والي مصر عبد الله بن أبي سرح واتجه به ناحية المغرب الأدنى وانضم إليه جيش عقبة بن نافع الذي كان معسكراً في برقة فاتجهت الجمع التي بلغت حوالي عشرون ألف مقاتل كلها لمحاربة الروم البيزنطيين⁵.

وقد تحاشى ابن أبي سرح في حملته هذه الهجوم على مدينة طرابلس التي نقضت العهد مع المسلمين وتحصن أهلها بها، فاتجه إلى مدينة عقوبة وعسكر بها وهي بالقرب من عاصمة جرجير، سيطرة وهذا للقضاء على ملكهم في إفريقية، فخيره ابن أبي سرح بين قبول الإسلام أو الجزية وعندما رفض المقترحين التحم المسلمون في معركة حامية الوطيس مع الروم البيزنطيين فنالوا منهم وقتلوا قائدهم جرجير، حيث قتله الصحابي الجليل عبد الله بن

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 84.

² محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 14.

³ المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ط2، ج1، ص 14.

⁴ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 15.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 08-09. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ج4، ص 236.

الزبير، وقتلوا الكثير من جيشه الذي بلغ نحو مئة وعشرون ألف، كما منعوا فلوله من دخول عاصمتهم سبيطة التي استولى عليها المسلمون¹.

فاضطر من بقي من الجيش البيزنطي عندما رأوا استبسال المسلمين في القتال إلى طلب المودعة والمسألة، واقترحوا على ابن أبي سرح دفع جزية سنوية مقدارها ثلاثمائة قنطار من الذهب² فقبل ابن أبي سرح الصلح وانسحب إلى القسطنطينية، بعد أن قضى في هذه الحملة التي كسب فيها المسلمون غنائم وأموال كثيرة أربعة عشر شهرا³، ووصل مصر سنة 28هـ/649م⁴.

وبذلك تقلص نفوذ البيزنطيين إلى الأطراف الشمالية حيث توجد مدينة قرطاجنة، رغم أن ابن أبي سرح لم يترك واليا مسلما أو حامية إسلامية أو يبي قاعدة إسلامية ينطلق منها المسلمون للفتح واكتفى باشتراطه على الروم أن تبقى المناطق التي استولى عليها المسلمون قبل الصلح بأيديهم.

فتوحات معاوية بن حديج الكندي :

أسند الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) أمر مواصلة الفتوح في بلاد المغرب إلى معاوية بن حديج الكندي سنة 40هـ/660م⁵، فغزا إفريقية سنة 43هـ/663م وتمكن من فتح بعض المدن وغنم غنائم عظيمة⁶، ثم نظم غزوة أخرى سنة 45هـ/665م حيث زوده الخليفة معاوية بجيش مكون من عشرة آلاف جندي فيه الكثير من الصحابة والتابعين⁷، وقد ساعدت مجموعة من الظروف على مواصلة الفتح منها سخط أهالي إفريقية من الضرائب الإضافية التي كانت تفرض عليهم من قبل الحاكم الجديد الذي ولاه هرقل على إفريقية، وكذلك ظهور صراع بين هذا الأخير وحاكم إفريقية السابق الذي عينه أهلها بعد مقتل جرجير، والذي التجأ إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان لينجده ضد خصمه⁸، فاغتنم قائد المغرب ابن حديج الفرصة ونزل بجيش في قمونية التي اتخذها معسكرا للفتح، ثم بعث إلى جل ولاء عبد الملك بن مروان في ألف فارس ففتحها وغنموا ما

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 09 وما بعدها.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 12. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 236.

³ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 27.

⁴ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 22 (وقد عرفت هذه المعركة بمعركة سبيطة أو معركة العبادلة (حملة العبادلة) لمشاركة الكثير من الصحابة الذين تبدأ أسماءهم باسم عبد الله مثل عبد الله بن أبي سرح قائد المعركة وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم).

⁵ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 28.

⁶ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 260.

⁷ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 16.

⁸ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 23-24.

فيها¹، وتصدى جيش المسلمين وأحقوا الهزيمة بالجيش الذي بعثه صاحب القسطنطينية في البحر المكون من ثلاثين ألف مقاتل قرب قصر الأجم بإفريقية².

ثم تمكن جيش للمسلمين من فتح مدينة سوسة وبنزرت، وغنم غنائم كثيرة وعاد إلى قمونية وعسكر بها³، وبذلك بدأت تظهر جليا فكرة اتخاذ المسلمين لقاعدة ارتكاز تنطلق منها جيوشهم للفتح، وقد تولى تنفيذ الفكرة فيما بعد الفاتح عقبة بن نافع⁴.

فتوحات عقبة بن نافع الفهري (الولاية الأولى) 50-55هـ/670-675م :

لا شك أن اختيار عقبة بن نافع لقيادة الفتح كما موقفا على اعتبار أنه رجل شارك في الفتوحات منذ بداياتها الأولى كما تولى أمر برقة منذ فتحها المسلمون وكان خير داعية للإسلام، فقد عرفته هذه الأرض منذ أكثر من رفع قرن مجاهدا ومرابطا وداعية⁵.

وعلى عكس غيره من قادة الفتح فقد سلك عقبة في فتوحاته طريق الصحراء وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكه أغلب قادة الفتح، وأصبح لشهرته يعرف بالطريق الأعظم عند ابن عبد الحكم والجادة عند البكري، فأذعن لدعوته قبائل لواتة ومزاتة، واستولى على مدينة غدامس وقفصة وتوزر من بلاد الجريد⁶.

ومن أهم أعماله بناء مدينة القيروان سنة 50هـ/670م⁷ لتدعيم حركة الفتح ولاستقرار الجند في قاعدة تنطلق منها العمليات العسكرية، وبدأ في بنائها سنة خمسون للهجرة⁸، وقد بنيت في موضع بين الساحل والداخل لكي يأمن من خطر البيزنطيين في الساحل، ويتقي تحركات القبائل البربرية التي لم تسلم بعد في المناطق الداخلية¹.

¹ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 260-261. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 16.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 236. محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 25.

³ المالكي، المصدر السابق ج1، ص 30.

⁴ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 25.

⁵ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 269.

⁶ موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص 29.

⁷ مدينة عظيمة بإفريقية، وهي أجل مدينة بأرض المغرب جمعت بين طيب الهواء، وعدوبة الماء وجميع المحاسن، اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م، وكان فيها من العلماء والفقهاء ما كان في البصرة بالعراق. أنظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ص 81. الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دت، ص 109 وما بعدها. الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة الحمديّة، مصر، 1968م، ط1، ج1، ص 06 وما بعدها.

⁸ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3، ص 320.

وقد بين عقبة لأصحابه أهمية وضرورة بناء مدينة القيروان كي يتخذها المسلمون قاعدة لهم في قوله "إن إفريقية إذا دخلها إمام أحابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجوع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"².

فتوحات أبو المهاجر دينار :

عندما أوشك عقبة بن نافع على الانتهاء من تأسيس القيروان لكي يواصل الفتح ويزيل سلطان الروم من شمال بلاد المغرب، ثم يسير في نشر الإسلام بين البربر حسب خطته³، فوجئ بعزله سنة 55هـ/675م⁴، حيث عزله والي مصر والمغرب الصحابي الجليل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وعين مولاه أبو المهاجر دينار⁵ واليا جديدا على بلاد المغرب⁶.

وقد أساء أبو المهاجر عزل عقبة حيث قام بسجنه وبالغ في إيذائه معنويا حسب ما يذكر ابن عبد الحكم وابن عذاري⁷، وهجر مدينة القيروان وأخلاها من سكانها، وبنا مدينة جديدة تبعد عنها بميلين وردت بأسماء مختلفة تاكرونة، تكور، ذكرور وغيرها⁸، وقد شيدها وسط بلاد البربر يقال في جبل وسلات مسكن قبيلة مزاتة البربرية، وبالتعاون مع البربر عمر مبانيها وحد في تشييدها⁹.

¹ موسى لقبال، للمغرب الإسلامي، ص 30.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 19.

³ محمد محمد زتين، المرجع السابق، ص 29.

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 21. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237. (غير أن ابن عبد الحكم يقول أن أبا المهاجر دينار تولى أمر بلاد المغرب سنة 51هـ/671م، بينما يرى المالكي أنه كان سنة 57هـ/677م، والأرجح ما أثبتناه في المتن بالنظر لصيرورة الأحداث التاريخية). أنظر : فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 265، رياض النفوس، ج1، ص 33.

⁵ من التابعين، ولاء مولاه مسلمة بن مخلد الأنصاري إمارة جيش المسلمين بالمغرب، وقد بقي بها مدة سبع سنوات من 55-62هـ/675-682م، استشهد في معركة ضد الروم، رفقة عقبة بن نافع في منطقة تمودة سنة 62هـ/682م. أنظر : المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 31 وما بعدها. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3، ص 450 وما بعدها.

⁶ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 31. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.

⁷ فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 265-266، البيان المغرب، ج1، ص 22.

⁸ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 22. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 31-32، موسى لقبال، المرجع السابق، ص 35-36.

⁹ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 36.

كما جاء هذا الوالي بسياسة جديدة، حيث قام باستمالة البربر عن طريق المعاملة الحسنة، وصالح زعيم قبيلة أوروبية البرنسية كسيلة بن لمزم، وأحسن إليه وأقنعه للدخول في الإسلام، مع جمع كثيرة من البربر¹، فسهل سله بذلك مواصلة الفتح الإسلامي بالمغرب الأدنى والدخول إلى أرض المغرب الوسيط.

ويعتبر أبو المهاجر دينار أول والي لبلاد المغرب وطئت خيله أرض المغرب الأوسط²، فبعد بناءه لمدينته الجديدة تاكيروان في حدود سنة 55هـ/675م والتي اتخذها عاصمة جديدة لبلاد المغرب بدلا من القيروان عقبه³، واستمالاته للبربر ضد الروم البيزنطيين⁴، انطلقت جيوشه منها صوب المغرب الأوسط لمحاولة فتحه.

وتذكر المصادر التاريخية حملته على المغرب الأوسط باختصار شديد⁵، حيث يذكر كل من المالكي والدباغ بأنه خرج بجيوشه ناحية المغرب الأوسط وفتح كل ما مر به، حتى انتهى إلى العيون التي تسمى اليوم عيون أبي المهاجر نحو مدينة تلمسان⁶.

ولمؤكد أن جيش أبا المهاجر خلال حملته هذه، مر بالمناطق الداخلية للمغرب الأوسط، ولم يكن مروره من جهة الساحل لأن الروم كانوا يملكون سواحل بلاد المغرب، فيجب على أبا المهاجر أن يقوم يتجنب الدخول في مواجهة البربر والروم معا.

وقد مر على مدينة بسكرة ونواحيها، وحارب بعض الولاة ورؤساء القبائل في جهات قسنطينة وانتصر عليهم وذلك عام 59هـ/679م، واتخذ مدينة ميلة مركزا لعملياته الحربية⁷ وابنتي بها دار الإمارة وجعلها ملاصقة

¹ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 46. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.

² السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008، ص 130.

³ يذكر ابن عبد الحكم وابن عذاري أن أبا المهاجر كره أن ينزل بمدينة عقبة القيروان، فاخطت مدينة جديدة بدلا عنها واستقر بها. أنظر : فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 266، البيان المغرب، ج1، ص 22.

⁴ استطاع أبو المهاجر تحطيم الحلف الذي كان بين الروم وقبيلة أوروبية البربرية، بفضل معاملته الحسنة للبربر وزعيمهم كسيلة بن لمزم، قد خلت أعداد كثيرة من بربر المغرب الأوسط في الإسلام وانضمت إلى جيش الفتح. أنظر : السلاوي، أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج1، ص 37، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130.

⁵ ترم المصادر التاريخية مرا سريعا على ولاية أبي المهاجر، إما لأنها وقعت بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية، أو بسبب استياء الرواة، من تصرفات أبي المهاجر وإساءته لعقبة. أنظر : السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 129.

⁶ رياض النفوس، ج1، ص 33، معالم الإيمان، ج1، ص 46.

⁷ عبد الرحمان بن محمد الجبلاي، المرجع السابق، ج1، ص 127. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 86.

للجامع، ومكث بها سنتين¹، ثم عاد إلى المغرب الأدنى سنة 61هـ/680م واستقر بعاصمته الجديدة تاكروان عاما واحدا حتى عزل².

ونشير إلى أن أبا المهاجر توغل في بلاد المغرب الأوسط ووصل حتى تلمسان إلى أن فتح هذه البلاد لم يكن فتحاً مؤزراً وحقيقياً رغم مكونه حوالي عامين بمدينة ميله، لأن جيوشه عادت إلى المغرب الأدنى ولم تستقر في المغرب الأوسط لتدعيم عملية الفتح لدى قبائل البربر جميعاً.

فتوحات عقبة بن نافع (الولاية الثانية) 62-64هـ/682-684م :

عندما تولى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين، واستتب له الأمر باستقرار أوضاع الخلافة الأموي بالمشرق ولو نسبياً، فكر في بعث الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب من جديد، فقام بعزل أبي المهاجر دينار وإعادة عقبة بن نافع لولاية المغرب وهذا في سنة 62هـ/682م³.

فسارع عقبة بعد تعيينه هذا إلى إعادة بناء القيروان ونقل الناس إليها، كما قام بتوثيق أبي المهاجر دينار بالحديد⁴، ثم تجهز لمحاولة الروم ومواصلة الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، وقام بتجهيز حملة كبيرة ناحية المغرب الأوسط.

وانطلق في حملته هذه من قاعدة الفتح القيروان، بعد أن استخلف عليها زهير بن قيس البلوي⁵، بجيش قوامه خمسة عشر ألف جندي⁶، لفتح بلاد المغرب الأوسط ومقاومة الروم البيزنطيين فدخل بجيشه هذا إلى المغرب الأوسط والروم يهربون من طريقه يمينا وشمالا، إلى أن وصل إلى مدينة باغاية⁷ شرق جبل الأوراس قرب مدينة

¹ عبد الرحمان بن محمد الجليلي، المرجع السابق، ج1، ص 127-128.

² السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130.

³ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 66-64. ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 450. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.

⁴ ابن عبد الحكيم، المصدر السابق، ج1، ص 267. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 34.

⁵ ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 450. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 23. (غير أن ابن عبد الحكم والمالكي والديباغ يذكران أن عقبة استخلف بالقيروان مع زهير بن قيس البلوي، عمر بن علي القرشي). انظر : فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 267، رياض النفوس، ج1، ص 34، معالم الإيمان، ج1، ص 47-48.

⁶ عبد الرحمان بن محمد الجليلي، المرجع السابق، ج1، ص 128.

⁷ مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، بما أسواق، ولها واد يجري إليها من جهة القبلة، وأكثر غلاتها الحنطة والشعير، منها إلى قسنطينة ثلاث مراحل، ومنها إلى مدينتي طينة وقسنطينة أربع مراحل. وحاليا المدينة تدعى باغاي وهي بلدية تابعة لولاية خنشلة وتقع في الشمال منها. أنظر : الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتقديم وتعليق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1983، ص 177-178.

خنشلة، ففتحها بعد أن حاصرها وقاتل الروم المتواجدين بها قتالا شديدا¹، وغنم منهم خيلا كثيرا لم ير المسلمون أصلب منها ولا أسرع فهي نتاج جبل أوراس المطلب عليها².

ومنها توجه إلى مدينة لمبيس (لمبيز) ففتحها بعد قتال عنيف مع الروم وأصاب بها غنائم كثيرة³، ثم ارتحل إلى بلاد الزاب بالتحديد إلى مدينة أذنة التي كان حولها ثلاثمائة قرية كلها عامرة، فلما بلغ أهلها أن عقبة قادما إليهم لجئوا إلى حصنهم، وهرب أغلبهم إلى الجبال والأماكن الوعرة، ونزل عقبة على واد يبعد عن المدينة ثلاثة أميال، ولما تجهز الروم في المساء نزلوا بدورهم بجيش شخم أسفل الوادي، ولكن لم يحدث القتال بين الفريقين في الليل، وسهر الجيشين في تلك الليلة خوفا من مباغتة أحدهم للآخر، فسمي ذلك الوادي "وادي سهر"، وعندما صلى عقبة الصبح أمر المسلمين بقتالهم، فحدثت معركة ضارية بينهما، انتهت بانتصار المسلمين والقضاء على الروم في بلاد الزاب⁴.

ثم ارتحل عقبة وجيشه إلى الجهة الغربية للمغرب الأوسط، ونزل بمدينة تيهرت وقاتل فيها الروم والبربر معا، وانتصر عليهم، ثم واصل طريقه ناحية تلمسان ففتحها⁵، ومنها اتجه إلى المغرب الأقصى فوصل طنجة، ثم قاتل البربر في السوس الأدنى والأقصى⁶.

وفي طريق عودته من المغرب الأقصى استشهد عقبة بن نافع وجنده وأبي المهاجر دينار سنة 64هـ/684م في منطقة تهودة بالقرب من بسكرة بالمغرب الأوسط⁷

فتوحات زهير بن قيس البلوي :

استخلفه عقبة بن نافع على القيروان لما خرج في حملته الكبرى على بلاد المغرب، ولكنه تراجع إلى برقة عندما استولى كسيلة على القيروان مرابطا بها، ولما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة عينه قائدا لجيوش المسلمين في

¹ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 34. ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 48.

² الرقيق القيروان، المصدر السابق، ص 42. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 24. عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 128.

³ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 128. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 87.

⁴ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 42-43. المالكي المصدر السابق، ج1، ص 36-37. ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 49.

⁵ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 129. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 87.

⁶ ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 25 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 237.

⁷ عن كيفية استشهاد عقبة وجنده. أنظر : المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 39 وما بعدها. ابن الأثير، المصدر السابق، مج3، ص 451-452. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 28 وما بعدها.

بلاد المغرب في حدود سنة 67هـ/686م¹، فجهز زهير جيش كبير قدره ستة آلاف جندي²، وتوجه لقتال كسيلة في القيروان، ولكن هذا الأخير عسكر في مدينة ممس جنوب القيروان، والتقى الجمعان هناك ودار قتال شديد بينهما، فانهمز في آخر المطاف كسيلة وقتل في المعركة، فانصرف زهير إلى القيروان فأقام بها مدة يسيرة³.

وبعدما آمن الناس في القيروان ترك عسكرا كثيرا من أصحابه فيها، ورحل في جمع آخر قاصدا مدينة برقة ليخلص أسى المسلمين من أيدي الروم الذين أغاروا على برقة في حملة بحرية خرجت من صقلية مستغلين غياب زهير وجيشه الذي كان يقاتل كسيلة في القيروان، ولما وصل برقة باشر القتال واشتد الأمر وعظم الخطب فتكاثرت الروم عليه فقتلوا زهيراً ومن معه في ساحل درنة لوم ينج منهم أحد، وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية⁴.

فتوحات حسان بن النعمان الغساني :

تولى حسان بن النعمان قيادة جيش المسلمين في بلاد المغرب بعهد من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في حدود سنة 73هـ/692م، ويختلف المؤرخون كثيرا في تاريخ تعيينه هذا⁵، كما يختلفون في تاريخ بداية حملته العسكرية ضد الروم بقرطاجنة والكاھنة⁶ بمنطقة الأوراس في المغرب الأوسط والأرجح أنه بدأ يحارب الروم بقرطاجنة سنة 76هـ/695م⁷ حيث قدم إليهم بجيش ضخم قوامه أربعين ألف جندي¹، فتمكن من القضاء عليهم وتبديد ثملهم، وتخريب مدينتهم، ففروا ناحية مدينة باجة، وفر بربر تلك المنطقة إلى ناحية بونة².

¹ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 44. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 238.

² يذكر المالكي أن جيش زهير يضم ألفين من البربر وأربعة آلاف من العرب. أنظر : رياض النفوس، ج 1، ص 45.

³ المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 45.

⁴ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 44-46.

⁵ اختلف المؤرخون في تاريخ تعيين حسان بن النعمان واليا على بلاد المغرب، حيث يرى المالكي أنه كان سنة 69هـ/688م، بينما يرى ابن عبد الحكم أنه كان سنة 73هـ/692م، في حين يرى ابن الأثير أنه كان سنة 74هـ/693م، ويذكر ابن عذارى أنه كان سنة 78هـ/697م. والأرجح هو رأي ابن عبد الحكم، لأن التاريخ الذي يذكره المالكي مستبعد كون الأوضاع في بلاد المشرق كانت آنذاك مضطربة جدا، حيث استفحل أمر الخوارج، وكذلك ثورة عبد الله بن الزبير، فبعد قضاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على ثورة ابن الزبير في حدود سنة 73هـ/692م واستتب له الأمر، بعث حسان لمواصلة الفتح في بلاد المغرب في نفس السنة. أنظر : فتوح مصر والمغرب، ج 1، ص 269. رياض النفوس، ج 1، ص 48. الكامل في التاريخ، مج 4، ص 135. البيان المغرب، ج 1، ص 34.

⁶ هي زعيمة البربر في الأوراس، تدعى ديهيا بنت ماتيه بنتيفان وهي من قبيلة جراوة البترية، كانت تقيم بعاصمتها باغاية. وكانت تخير قومها بأشياء من الغيب لهذا سميت الكاهنة، وكان جميع من بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون. أنظر : الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 46. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط 1، مج 4، ص 135. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 35. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 158.

⁷ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 134. صالح بن قرية وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007، ص 25-26.

وفيما يخص مقاومته لزعيمة البربر بعد كسيلة، الكاهنة رئيسة قبيلة جراوة بناحية الأوراس بالمغرب الأوسط، فقد كان في نفس السنة، حيث عاد حسان بجيشه إلى القيروان بعد هزيمته للروم بقرطاجنة، لإعادة تنظيم صفوفه، ولما جهز جيشه من جديد قال لأهل القيروان "دلوني على أعظم من بقي من ملوك إفريقية"، فدلوه على امرأة من البربر تدعى الكاهنة³، فتجهز لرحبها بجيش جرار، وكانت أول حملة عسكرية لحسان على بلاد المغرب الأوسط.

ولما سمعت الكاهنة بمقدمه جمعت جيش ضخمة وعسكرت بمدينة باغاية، وأخرجت منها الروم ثم هدمتها، ضنا منها أنه يريد التحصن بها⁴، أما حسان فقد أكمل طريقه إلى المغرب الأوسط وعسكر بوادي مسكيانة⁵، فقيل له أن الكاهنة قد أقبلت في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى، فقال "دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه"⁶، فدلوه على نهر أو واد نيني⁷، فزحفت إليه الكاهنة بجيوشها حتى أتت أسفل النهر، وحسان كان في أعلاه، وفي صباح الغد حدثت معركة مهولة بين الجيشين، حيث عظم البلاء وظن المسلمون أنه الفناء، وانخرم حسان وجنده، في ضفاف هذا النهر الذي أصبح يدعى بنهر البلاء⁸، كما سمي وادي العذارى⁹، وانسحب ناحية القيروان وطاردته الكاهنة حتى خرج من مدينة قابس بالمغرب الأدنى، فالتجأ حسان إلى برقة، وبقي بها خمس سنين¹⁰ ينتظر المدد من الخلافة الأموية بالمشرق، وخلالها بنا قصورا سميت بقصور حسان¹¹.

وقد أسرت الكاهنة في هذه المعركة ثمانين رجلا من المسلمين، أطلقت سراحهم جميعا ما عدا خالج بن يزيد العبسي¹² الذي اتخذته والدا لها. وملكت بذلك الكاهنة بلاد المغرب مدة خمس سنين، وقد ارتكبت خلال هذه

¹ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 34. (ويذكر ابن الأثير أنه لم يدخل إفريقية قد جيش مثله). أنظر: الكامل في التاريخ، مج4، ص 135.

² ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 135.

³ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 49-50. ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 135. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 35.

⁴ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 50.

⁵ مسكيانة هي قرية عامرة قديمة، قرية من مدينة باغاية، بها زروع ومسكن وعيون، ولها سوق ممتدة كالسماط، وهي أكبر من مدينة مرماجنة القريبة منها. واليوم هي دائرة تابعة لولاية أم البواقي، تقع في أقصى الجنوب الشرقي منها. أنظر: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 195.

⁶ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 50.

⁷ ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. (ويذكر الرقيق القيرواني أن هذا النهر يسمى بلسان البربر "بلي"). أنظر: تاريخ إفريقية والمغرب، ص 46-47. (وتوجد اليوم في جنوب شرق ولاية أم البواقي بلدية تدي واد نيني، وهي قرية من دائرة مسكيانة).

⁸ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 51.

⁹ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 47. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 36.

¹⁰ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 47. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 36. ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. (غير أن المالكي يقول أن حسان عسكر بناحية برقة ينتظر المدد مدة ثلاث سنين فقط، والأرجح ما أثبتناه في المتن). أنظر: رياض النفوس، ج1، ص 51.

¹¹ ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 43.

¹² اختلف المؤرخون في نسبه بين العبسي والقيسي، وبين اسمه واسم أبيه فهل هو خالد بن يزيد أو يزيد بن خالد. أعجبت الكاهنة بجماله وشجاعته، ففتنته والدا لها، حيث عمدت إلى دقيق الشعير فلتته بزيت، وجعلته على ثديها ودعت ولديها وقالت كلا معه على ثديي ففعلا، فقالت قد صرتم إخوة.

المدة خطأ كبيرا، حيث قامت بتحطيم وتخریب بلاد المغرب، ظنا منها أن المسلمين قدموا للاستيلاء على خيرات هذه البلاد، ويذكر ابن عذارى أنها قالت للبربر: "إن العرب (يقصد هنا المسلمين ككل) إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا ترى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها، حتى يبئس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر"¹. فتضرر البربر من سياستها هذه، وسخطوا عليها، وبدأوا في تغيير ولائهم لحسان والتخلي عن نصرتها، ويذكر الرقيق القيرواني أنه لجأ أهل مدن قفصة وقسطيلية ونفزاوة وحوالي ثلاثمائة رجل من النصارى يستغيثون إليه من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب²، كما يذكر ابن عذارى أنه خرج يومئذ من المغرب خلق كثير من النصارى والأفارقة، مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة، فتركوا على الأندلس وسائر جزر البحر الرومي³.

وفي تلك الأثناء كان حسان مرابطا بمدينة برقة، وبعد العدة للزحف على المغرب الأوسط من جديد والقضاء على الكاهنة، وقد عمد إلى إرسال رجل يثق به إلى خالد بن يزيد العبسي أسير الكاهنة، لكي يتقصى له أمرها وأحوال بلادها ورعيتهما، وقد تمكن من الحصول على معلومات مهمة تمثل بالخصوص في سخط الرعية من سياستها التي أثقلت كاهلهم⁴.

ولما وصله المدد من المشرق في حدود سنة 81هـ/700م وأصبحت الظروف كلها في صالحه وضد الكاهنة⁵، انطلق في حملة ثانية على المغرب الأوسط بجيش جرار مصمما على القضاء عليها وعندما علمت الكاهنة بمقدمه رحلت من جلب أوراس في خلق عظيم، وأوصت خالد بن يزيد العبسي أن يستأمن لولديها عند حسان وأن يقبلا عليه، وتنبأت بمقتلها، ولكن قررت المقاومة حتى الموت⁶.

ويذكر المالكي أن الجمعان التقيا ناحية قابس، فانهزمت الكاهنة، وفرت مع من بقي من جندها إلى قلعة بسر لكي تتحصن بها ولكنها وجدتها مخربة، فانقلت ناحية جبال الأوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت

أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 47. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 51. ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 37. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 239.

¹ البيان المغرب، ج1، ص 36.

² تاريخ إفريقية والمغرب، ص 48-49.

³ البيان المغرب، ج1، ص 36-37.

⁴ عن كيفية نقل خالد بن يزيد العبسي، المعلومات العسكرية حول الكاهنة وقومها إلى حسان. أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270. المالكي المصدر السابق، ج1، ص 51-52. ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 37.

⁵ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 90.

⁶ ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 136، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 37-38.

تعبده، يحمل بين يديها على جمل، ولحقها جند حسان، فاقتتلا الجمعان وانهمزت الكاهنة وقتلت عند بئر سماها المسلمون "بئر الكاهنة"¹.

أما البربر فقد طلبوا الأمان من حسان، فأمنهم واشترط عليهم أن يعطوه من جميع قبائلهم اثنا عشر ألف فارس يكونون مع المسلمين مجاهدين، فأجابوه وأسلموا، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر، وانضموا للمجاهدين لاستكمال فتح بلاد المغرب، فانصرف حسان إلى القيروان بعدما تأكد من أن البربر بناحية الأوراس حسن إسلامهم وذلك في شهر رمضان سنة 82هـ/ أكتوبر 701م².

تمثل نهاية مقاومة الكاهنة بمنطقة الأوراس في المغرب الأوسط، منعرجا حاسما في عملية الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط، فقد دخلت هذه المنطقة بأسرها في الإسلام، حتى أصبح أكثر جيش حسان من البربر، وقد عمد هذا الأخير بعد أن استقامت له بلاد المغربين الأدنى والأوسط إلى تدوين الدواوين، وتنظيم الخراج، ووضع النظم الإدارية³.

فتوحات موسى بن نصير :

تولى موسى بن نصير ولاية المغرب في حدود سنة 83هـ/702م⁴ بعهد من والي مصر عبد العزيز بن مروان الذي قام بعزل حسان بن النعمان قبل لثأر شخصي بينهما، فقدم موسى إلى إفريقية فخطب في الجنود الذين استغربوا عزل قائدهم حسان الذي يكون له التقدير والاحترام فبرر في خطبته سبب العزل حيث قال بأنه بسبب كفره بالنعمة وتطاوله على أولى الأمر والنهي وأمر موسى بصرف رواتب الجند ثلاث أضعاف مما كانت عليه في عهد حسان لكي يستميلهم نحوه ويتناسوا ما حدث من عزل، وافتتح عهده بإفريقية بعزل نائب حسان ومساعديه وتغريمهم وتصفيدهم في الحديد وترحيلهم إلى المشرق⁵.

¹ رياض النفوس، ج1، ص 54 وما بعدها.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 38.

³ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 56. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 164.

⁴ اختلف المؤرخون في تحديد سنة تعيين موسى بن نصير، قال ابن عبد الحكم سنة 79هـ/698م، وقال ابن الأثير سنة 89هـ/708م وفي موضع آخر قال 78هـ/697م، أما الرقيق القيرواني وابن خلدون لم يذكر التاريخ بدقة وقالوا أن تعيينه كان في بداية خلافة الوليد بن عبد الملك، بينما يرى ابن عذاري أن تعيينه كان سنة 83هـ/702م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة 86هـ/705م أقره في منصبه، وهو الأرجح حسب اعتقادي بالنظر إلى سيروة الأحداث التاريخية. أنظر : فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 274. الكامل في التاريخ، مج4، ص 252. تاريخ إفريقية والمغرب، ص 51. العبر، ج4، ص 239. البيان المغرب، ج1، ص 39 وما بعدها.

⁵ عن ظروف عزل الوالي حسان بن النعمان وتعيين موسى بن نصير واليا جديدا على بلاد المغرب. أنظر : موسى لقبال، المرجع السابق، ص 81 وما بعدها.

وفيما يخص فتوحاته في المغرب فقد فتح أولا قلعة زغوان ونواحيها، ثم أكمل فتوحه وتوجه غربا إلى المغرب الأوسط وشمل نشاطه قبائل هوارة وزناتة وكتامة وصنهاجة، ثم اتجه إلى المغرب الأقصى وأخضع قبيلة أروبية، ثم عاد إلى القيروان للاستعداد من جديد، فنضم جيشه وتوجه إلى المغرب الأقصى في حملة أخرى فأخضع السوس الأقصى، والمصامدة في جبال درن، كما فتح السوس الأدنى وعين واليا عليها، ثم فتح طنجة وولى عليها طارق بن زياد¹، ولم تبق غير مدينة سبتة التي استعصت على المسلمين لحصانها الطبيعية والصناعية ومساعدة ملوك القوط لحاكمها بوليان².

وباستيلاء المسلمين على طنجة قاعدة المغرب الأقصى وتحويلها إلى رباط عسكري بقيادة طارق بن زياد يكتمل فتح المغرب الأقصى ويعود موسى بن نصير إلى القيروان.

¹ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 40 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 239.

² موسى لقبال، المرجع السابق، ص 89.

الدرس الرابع : عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي أبعاده وآثاره.

مفهوم عصر الولاة :

يطلق مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي من فترة عزل الوالي موسى بن نصير ورجوعه إلى المشرق سنة 95هـ/714م حتى قيام الدول المستقلة عن الخلافة في المشرق، وقد استقلت أقطار بلاد المغرب الإسلامي تبعا، حيث ظهرت الدول المدراية في سجلماسة سنة 155هـ/772م، والدولة الرستمية في تيهرت سنة 160هـ/777م، والدولة الإدريسية في فاس سنة 172هـ/788م، وأخيرا دولة الأغالبة بالقيروان سنة 184هـ/800م¹.

مميزات عصر الولاة في بلاد المغرب :

اتسم عصر الولاة بالمغرب بأربعة مظاهر كبرى وهي :

- 1- تفشي الروح العصبية والعنصرية القبلية بين القبائل العربية (الصراع التاريخي الذي حدث في المشرق انتقل إلى المغرب بين العرب القيسية والكلبية)².
- 2- السياسة الإدارية السيئة لبعض الولاة الأمويين والعباسيين في بلاد المغرب، وقد تجلت هذه السياسة أكثر في عهد الوالين يزيد بن أبي مسلم الثقفي وعبيد الله بن الحبحاب السلوي.
- 3- انتشار المذهب الخارجي الصفري والإباضي بين القبائل المغربية.
- 4- اندلاع الثورات المغربية ضد ولاة السلطة المركزية الذين حكم بعضهم بالظلم والجور، وقد انتهت هذه الثورات بطبيعة الحال إلى قطيعة بين أهل المغرب والخلافة الأموية والعباسية، وخروج معظم مناطق المغربيين الأوسط والأقصى عن إدارة الخلفاء وولاتهم في المغرب، ثم الانفصال التام والاستقلال النهائي أثناء الحكم العباسي³.

التنظيم الإداري :

كان والي المغرب يقود الجيوش ويجهز البعث للأقاصي ويقسم الغنائم بين المحاربين على قاعدة الأخماس، ويصرف مرتبات الجند من بيت مال المسلمين (مال الولاية) ويعمل على نشر الدين الإسلامي والتبشير به،

¹ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مصر، 2004، ص 65.

² موسى لقبال، المرجع السابق، ص 119-120.

³ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 153 وما بعدها.

ويساعد الولاية في هذه الأعمال مجموعة ن العمال وهم عامل الخراج والصدقات، كاتب الولاية، والقاضي وتوابعه من المحتسبين والمفتين والمقرئين والشهود¹.

التنظيم المالي :

كانت النظم المالية المطبقة في بلاد المغرب على العموم مشابهة للنظم السائدة في أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى مع بعض الاختلافات البسيطة كاشتراط عمرو بن العاص على أهل برقة أن يبيعوا في جزيتهم من أولادهم من أحبوا، ومثل بقاء التعامل في إفريقية بالسكة الرومية التي ضربها جرجير، ومثل أخذ المسلمين لجزية غير نقدية من غير المسلمين في المواشي، والجوانب المالية في المغرب هي نفسها في باقي الأقاليم الإسلامية والتي تتمثل في : الغنائم، الفياء، الخراج، الجزية، الزكاة والعشور. وعندما توقفت الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب قلت موارد بيت مال المسلمين، فقام بعض ولاة المغرب مثل يزيد بن أبي مسلم وعبيد الله بن الحبحاب بفرض ضرائب باهظة على البربر، وهذه الضرائب كانت مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي التي تنص على أن المسلمين لا تؤخذ من أموالهم غير الزكاة، فأدى ذلك على ظهور معارضة قوية من البربر للدفاع عن حقوقهم المشروعة عن طرق إعلان الثورة ضد سياسة الولاية².

¹ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 108-109.

² موسى لقبال، المرجع السابق، ص 138 وما بعدها.

الدرس الخامس: الدويلات المستقلة الأسباب العوامل والآثار

عناصر الدرس:

المقصود بالدويلات المستقلة

أسباب ودواعي قيام الدويلات المستقلة في المغرب الإسلامي

الآثار المترتبة عن انفصال واستقلال دويلات المغرب عن الخلافة المركزية

أولاً: نقصد بالدويلات المستقلة: هي الدويلات التي كانت جزءاً من بلاد المغرب الإسلامي والذي كان تابعا للخلافة المركزية بالمشرق من الفتح الإسلامي لتلك البلاد إلى وصول بني أمية الحكم.

هناك نوعين من الدول المستقلة عن الخلافة المركزية في بلاد المغرب الإسلامي:

- أ- منفصلة سياسياً وعقدياً ومذهبياً وهي: المذاريون، الرستميون، الأدارسة، برغواطة، الفاطميون.
- ب- منفصلة سياسياً فقط: آل صالح، الأغالبة، الزيريون، الحماديون، المرابطون، الموحدون، الحفصيون، الزيانيون، المرينيون.

ثانياً: أسباب ودواعي قيام الدول المستقلة في بلاد المغرب.

لقد أدت عدة عوامل مختلفة إلى ظهور كيانات ودويلات مستقلة في المغرب عن الدولة المركزية الإسلامية بالمشرق رافضة لحكمها ومعارضة لسياساتها ومنافسة لها، وهناك أسباب كثيرة أدت لقيامها نذكر منها:

- سياسة خلفاء بني أمية المستبدة والمنافية لتعاليم الإسلام.
- تراجع مكانة الخلافة الإسلامية في العصر العباسي.
- ظلم بني العباس لأبناء عمومتهم العلويين وهميشهم ومطاردتهم.
- هروب العديد من أفراد البيت العلوي.
- ظلم الولاة وبطشهم بأهل المغرب وسوء معاملتهم.
- بعد المغرب عن الخلافة المركزية فقد شكل ملاذاً آمناً للعديد من القادة الهاربين بأفكارهم الفارين من بطش الخلفاء وبيئة خصبة لنضوج أفكارهم التي آتت الكثير من أكلها.

- الأوضاع الاقتصادية المتردية ودورها في اثاره عديد الثورات.

- شساعة الرقعة الجغرافية للخلافة الإسلامية وصعوبة التحكم فيها

- انتشار تيارات وأفكار ومذاهب متعددة مخالفة لما عليه الخلافة المركزية، متأثرة بذلك بالمشرق، تنادي

بتطبيق تعاليم الإسلام المؤسسة على العدل والمساواة والشورى لاختيار الإمام منها:

الخوارج: ثار الخوارج على الدولة الأموية والعباسية، لاقتناعهم أن كلا الدولتين اغتصبتا الخلافة.

الشيعة: بعد استشهاد الحسين بن علي في كربلاء، أثار مقتله مشاعر بعضا ممن خذلوه وتخلوا عن نصرته من أهل الكوفة فتشيع نفر كثير، وعمل الهاشميون مجتمعين علويين وعباسيين على اسقاط الدولة الأموية، انطلاقا من دعوة سرية وثورة علنية، وما إن تحقق لهم ذلك حتى انقلب العباسيون على أبناء عمومتهم العلويين، ففر منهم الكثير إلى المغرب.

المعتزلة: يرى المعتزلة أن الخلافة لا تكون بالنص وإنما بالاختيار ولهذا فهم يرون بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وتبرأوا من معاوية وخطأوه.

ثالثا: الآثار المترتبة عن انفصال واستقلال دويلات المغرب عن الخلافة المركزية.

1- الآثار الإيجابية: لم يكن الاستقلال في مجمله سلبيا بل كانت بعض الجوانب حققت نوعا من الإيجابية، نذكر منها:

- نشر الإسلام: تسابقت العديد من الدويلات المستقلة إلى منافسة الخلافة المركزية في أخذ مبادرة الجهاد ونشر رسالة الإسلام السامية، خاصة في بعض المناطق البعيدة المتعطشة للانعتاق من ذل العبودية والتمتع بالحرية والعدل والمساواة، وهي مناطق لم تصل لها حوافر خيل الفاتحين، وشكلت بعضها خط الدفاع الأول للزود عن الإسلام وحماية رمزيته المتمثل في الخلافة.

- خدمة العلم وأهله: قام الدين الإسلامي على العلم وحث على طلبه لأنه باستمرار العلم تستمر هداية الناس، وبتوقفه تزول أسباب وجوده، لذلك تنافس الكثير من الحكام في بذل وسعهم من التمكين للعلم بوجود أسبابه فكانت المنشآت التربوية كالمساحد والكتاتيب ودور العلماء وانتشر في الحضارة الإسلامية الكتب والمكتبات كله من أجل استقطاب العلماء وطلبة العلم.

-فتح المجال لغير العرب(العجم) من تجربة الحكم وقيادة الجيوش فكان ابداعا وتميزا واطافة نوعية.

2-الآثار السلبية:

-تقليص الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي

-تشتت وتمزق المسلمين وزوال كل أسباب الوحدة وسيادة الشقاق والخلاف فجعل المنطقة بؤرة للصراع لا تعرف الحضارة لأن من شروط الحضارة الاستقرار

-هشاشة بعض أنظمة بعض الدول وتقديمها تنازلات للأعداء مما يجعلها ثغرة لا يؤمن جانبها ولقمة سائغة ومدخلا لاستعمار جديد.

-زوال كل أسباب خوف الأعداء من المسلمين، واطمئنائهم على مصالحهم في تلك البلدان.

أولاً: الدولة المدراية في المغرب الأقصى

ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي :

بالرغم من أن المذهب الخارجي كان مشرقياً نشأة إلا أن مبادئ وآمال رجاله تجسدت أيضاً في بلاد الغرب الإسلامي، وقد تمثل ذلك في قيام دولتين خارجيتين إحداهما صفرية المذهب اتخذت من سجلماسة بإقليم تافيلالت بالمغرب الأقصى عاصمة لها ونقصد بها الدولة المدراية، والثانية انتحلت الإباضية وجعلت من تيهرت بالمغرب الأوسط عاصمة لها ونقصد بها الدولة الرستمية.

وقبل تأسيس الخوارج لهاتين الدولتين كان لهم نشاط كبير مهد لقيامهما، وقد ساعدت عدة عوامل في تحقيق ذلك أهمها :

- الدعاية المحكمة لنشر أفكار المذهب الخارجي من جهة، وضد مذهب الخصوم من جهة أخرى.
- تهيئة الأرضية الفكرية لتقبل الفكر الخارجي عند البربر الذين وجدوا في أفكار الخوارج مخرجاً لهم خاصة ما يتعلق بمبدأ جواز الخروج على السلطات الجائر بالسلاح، لأنه يسعى إلى الإطاحة بحكم الأمويين ثم العباسيين من بعدهم بسبب ما ارتكبه بعض ولائهم على المغرب من ظلم في حقهم.
- احتضان وإعجاب البربر بفكرة الحكم الشورى وعدم انحصاره في قريش ولا في بيت عربي آخر ما يعني أن هذه الفكرة تفتح لهم بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم.
- التنظيم السري المحكم للدعوات الخارجية.
- استخدام السلاح في الوقت المناسب بعد التنظيم والدعاية والانتشار.
- ضعف الدولة الأموية في أواخر عهدها، والعباسية في بداية نشأتها وانشغالهما بالثورات التي حدثت في بلاد المشرق عن ما يحدث في بلاد المغرب.

- انفصال وانعزال الخوارج وبعدهم عن السلطة المركزية بالمشرق وعاصمة الولاية بالمغرب القيروان، حيث حول الخوارج نشاطهم إلى المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط، فمكّنهم ذلك من تنظيم صفوفهم والقيام بالثورة، ولم يكن أعدائهم من القضاء عليهم بسبب البعد المكاني وصعوبة التدخل في الوقت المناسب¹.

وتجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أن البربر قبل اعتناقهم للمذهب الخارجي وإعلانهم الثورة ضد سياسة الولاية الجائرة قاموا بتصريف حضاري يبين أنهم ليسوا من الذين يجنون إثارة الفوضى والاضطراب والثورة لأتفه الأسباب، حيث قاموا بإرسال وفد يتكون من حوالي عشرين رجلاً بقيادة ميسرة المطغري إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في دمشق لمطالبته بإصلاح الوضع في بلاد المغرب، ويخلصهم من ظلم الولاية، ولكنهم لم يتمكنوا من مقابلته إذ حال الأبرش وزيره بينهم وبينه، فعاد الوفد إلى المغرب وقد عزموا على الثورة بعدما يئسوا من الإصلاح بالطرق السلمية².

وقد شهد الطبري بأن البربر كانوا يميلون إلى السلم بقوله "فما زال أهل المغرب من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سلاماً وطاعة، حتى دب إليهم أهل العراق"³.

نسب الصفيرية :

الصفيرية نسبة إلى زياد بن الأصفر وهو النسب الأكثر تداولاً لدى المؤرخين، وهناك من ينسبهم إلى أقدم أئمتهم عبد الله بن صفار، كما نسبوا إلى النعمان بن صفر، وهناك من يقول أنهم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم فقيل صفيرية، وقيل بل هم الصفيرية لخلوهم من الدين فقد كان يقال لهم أئتم صفر في الدين⁴.

نشاط الصفيرية وقيام الدولة المدراية :

بدأ نشاط الخوارج الصفيرية¹ ببلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة على يد دعائهم الأوائل وعلى رأسهم عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ذلك العالم التابعي المغربي الأصل الذي اعتنق المذهب الصفيري وقام

¹ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 1985، ط2، ص 42 وما بعدها. موسى لقبال، المرجع السابق، ص 151 وما بعدها. عبد العزيز النعالي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ط2، ص 131 وما بعدها.

² الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، دت، ط2، ج4، ص 254-255.

³ تاريخ الرسل والسلوك، ج4، ص 254.

⁴ محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 44-45.

بنشره في بلاد المغرب عن طريق اتصاله برؤساء القبائل البربرية سواء عندما زار بلاد المغرب وبالتحديد القيروان أو حينما تقابل معهم في المدينة المنورة².

وشينا فشيئا تمت حركة الخوارج الصفرية باعتراف بعض القبائل البربرية لهذا المذهب وأعلنوا الثورة ضد ولاية الأمويين للتخلص من سياستهم الجائرة المتمثلة خاصة في الجشع المادي، وكانت أولى ثورات الخوارج الخطيرة تلك الثورة التي قادها ميسرة المطغري زمن الوالي عبيد الله بن الحبحاب سنة 122هـ/740م، حيث جهز جيش قوامه أربعين ألفا من الصفرية وخمسة وعشرون ألفا من الإباضية واستولى على مدينة طنجة وطرد حاكمها عمر بن عبد الله المرادي، وبايع الخوارج بها قائدهم ميسرة بالخلافة، ولكنه أساء السيرة فيهم فثاروا عليه وقتلوه، ثم نابعوا خالد بن حميد الزناتي وأخذوا يشنون الغارات في المغربين الأقصى والأوسط، ولما جاءت عساكر الوالي ابن الحبحاب لرد هجماتهم التقى الجمعان على ضفاف نهر الشلف وجرت معركة ضارية سميت بمعركة الأشرف سنة 122هـ/740م والتي انتهت بهزيمة جنود ابن الحبحاب. كما هزمت جيوش الخوارج أيضا جنود الوالي كلثوم بن عياض القشيري في موقعة بقدورة على وادي سبو سنة 124هـ/742م، وفي نفس السنة هدد الصفرية القيروان ولكن جموعهم انهزمت في معركتي القرن والأصنام أمام جنود الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي. وفي سنة 132هـ/750م وقيل سنة 140هـ/757م اجتمع الصفرية في مدينة مكناسة وبايعوا عيسى بن يزيد الأسود أماما لهم ولكنهم سرعان ما تنكروا له وقتلوه شر قتلة في سنة 155هـ/772م، وعينوا أبو القاسم المدراري خليفة لهم فتوارث أولاده الحكم فيما بعد، وقد بلغ عددهم حوالي ثلاثة عشر أميراً³.

وقد اتخذ المدراريون من سجلماسة جنوب المغرب الأقصى عاصمة لدولتهم، والتي استمرت قائمة إلى أن ظهرت الدولة العبيدية (الفاطمية) بالمغرب فأطاحت بها سنة 296هـ/909م لكن ما إن غادر العبيديون سجلماسة حتى أعاد المدراريون إنشاء دولتهم من جديد، وأطاح بها الفاطميون مرة أخرى سنة 347هـ/958م، فأعاد إحياءها ولدي الشاكر محمد بن الفتح، المنتصر بالله والمعتز بالله، حيث حكمها المنتصر بالله إلى غاية 352هـ/963م، ثم المعتز بالله إلى غاية 366هـ/976م حيث زحف عليه أمير مغراوة الزناتية خزرون بن فلفول وقضى على دولتهم بصفة نهائية⁴.

¹ حول مبادئ وعقائد المذهب الصفري. أنظر : الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسين فاهود، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1، ص 159-160.

² محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 46 وما بعدها.

³ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 158 وما بعدها. محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 62 وما بعدها.

⁴ محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 210 وما بعدها.

العلاقات الخارجية :

التقت أهداف الدولتين المدراية والرستمية وتوطدت بينهما أواصر المودة والصداقة فأصحابها ينتميان إلى المذهب الخارجي، فالرستميون نظروا إلى سجللماسة على أنها منفذ هام للقوافل التجارية إلى بلاد السودان المغربي، وشعر المداريون بأهمية الرستميين لهم إذ أن توثيق الصلات بهم يعطيهم الأمان الذي يشعرون بالحاجة إليه كدولة صغيرة يتربص بها الأعداء خاصة جيرانهم الأدارسة، وزاد التقارب بين الدولتين عندما حدثت المصاهرة بينهما حيث تزوج الأمير مدرار بن المنتصر بن اليسع من أروى بنت عبد الرحمان بن رستم، كما توطدت العلاقات الثقافية والتجارية بينهما¹.

وبالنسبة للعلاقات مع دولة الأدارسة فقد اتسمت بطابع العداء الذي اتخذ صورة تدبير المؤامرات أولاً ثم تحول إلى صراع عسكري أسفر عن توسع الأدارسة على حساب بني مدرار أخيراً، ولم يكن الصراع نتيجة الاختلاف المذهبي بقدر ما كان نتيجة لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، فسياسياً كانت علاقة المداريون جيدة مع أعداء الأدارسة البرغواطين وبني رستم وبني أمية بالأندلس، كما أن قيام دولة الأدارسة ثم على حساب الخوارج الصفرية، بالإضافة إلى أطماع الأدارسة في ذهب سجللماسة وفضة درعة. ورغم هذا العداء إلا أن العلاقات تخللتها فترات من المسالمة وحسن الحوار كما كان هناك تبادل تجاري بين الدولتين، حيث كانت القوافل التجارية تروح جيئة وذهاباً بينهما في آمان وسلام².

اتخذت علاقات بني مدرار مع العباسيين وأعوانهم الأغالبة طابع العداء بسبب الاختلاف المذهبي، وانفصال الدولة المدراية عن الخلافة العباسية، حقيقة أن هذا العداء لم يصل إلى درجة قيام الحروب بينهما، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية من مناخزة خصومه، وحالت الظروف السياسية والعوامل الجغرافية دون تناحرهم، فالدولة الرستمية بالمغرب الأوسط كانت حائلاً جغرافياً بين الأغالبة وبني مدرار منع من حدوث الاصطدام المباشر بينهما، كما أثار الأمراء المداريون حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائية. واتخذت أيضاً العلاقات المدراية العبيدية (الفاطمية) طابع العداء الشديد، حيث أسقط العبيديون الدولة المدراية سنة 296هـ/909م. وبالنسبة لعلاقات بني مدرار والأمويين بالأندلس فلم يكن الاختلاف المذهبي والبعد الجغرافي حائلاً دون وجود صلات ودية بينهما، فقد جمعها العداء المشترك للخلافة العباسية والأغالبة والأدارسة، وسمح التقارب السياسي بينهما لوجود علاقات

¹ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ط3، ص 206 وما بعدها.

² محمود إسماعيل، الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ط1، ص 136 وما بعدها.

تجارية بحرية متينة تربط موانئ الأندلس في البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) بموانئ بني مدرار في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)¹.

ثانيا: الدولة الرستمية في المغرب الأوسط

بداية الدعوة وتأسيس الدولة :

كان نشاط الإباضية مشابه لنشاط إخوانهم الصفرية ومتزامنا معهم أيضا، وقد ثاروا بدورهم على سياسة الولاة الجائرة، وظهرت هذه الفرقة إلى الوجود ببلاد المشرق الإسلامي وكان دعائها الأوائل إلى جانب عبد الله بن إباض، أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري وغيرهم.

لما أدرك الإباضية صعوبة الدعوة لمذهبهم في المشرق انتقلوا إلى بلاد المغرب فظهر بها سلمة بن سعد الذي يعتبر أول داعية إباضي يدخل بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة، واستقر بمدينة سرت وقيل بالقيروان وأخذ ينشر المذهب الإباضي، فكون أتباعا وأرسل بعضهم إلى البصرة ليتلقوا العلم من علماء الإباضية، وقد ذهب منهم عبد الرحمان بن رستم، وعاصم الصدراتي، وأبو داود القبلي النفزوي، وإسماعيل بن ضرار الغدامسي، وانضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المافري اليمني، وقد مكثوا مدة خمس سنين وعاد هؤلاء الخمسة إلى المغرب وهم يشتعلون حماسا لإقامة دولة على المذهب الإباضي².

وقد بايع الإباضية أبو الخطاب المعافري إماما لهم في محرم سنة 140هـ/جوان 757م بعد استيلائهم على مدينة طرابلس واتخذوها مقرا لهم، واختار أبو الخطاب رفيقة في العلم عبد الرحمان بن رستم قاضيا بطرابلس. وكان أبو الخطاب معروفا بالعدل والرفق بالرعية فعظم شأنه وامتد سلطانه إلى برقة شرقا والقيروان غربا وفزان جنوبا³.

وكان استيلاء أبو الخطاب على القيروان سنة 141هـ/758م وأخرج قبيلة ورفجومة منها، وجعل عبد الرحمان بن رستم واليا عليها، وقد مكث بها إلى سنة 144هـ/761م حيث وصلت جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وهزمت الإباضية وأخرجتهم من القيروان، وقتلوا زعيمهم أبي الخطاب المعافري، وعلى إثر هذه الهزيمة أحسن عبد الرحمان بن رستم بالخطر المحدق به بالمغرب الأدنى فقرر الذهاب إلى المغرب الأوسط رفقة الإباضيين الذين نجوا من المعركة حيث لا يصلهم جنود العباسيين، فاستقر عند قبيلة لماية البترية وذلك لحلف قديم كان قائما

¹ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، ص 128 وما بعدها.

² موسى لقبال، المرجع السابق، ص 165.

³ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية، ص 67 وما بعدها.

بينه وبينهم، ولما تكاثرت عليه الجموع شرع في تأسيس قاعدة يمكن الدفاع عنها فكان اختياره قد وقع على منطقة تيهرت لخصوبة أرضها ووفرة مياهها وحصانة طبيعتها وجودة مناخها، وكان أول بناء شرع فيه في حدود سنة 144هـ/761م هو المسجد الجامع ثم البيوت وباقي المرافق الأخرى، وبعد أن أصبحت معقلا عمرانيا وسياسيا وحضاريا وتوطدت أسس الإمارة وأركانها وترسخت دعائمها وقواعدها بايع الإباضية عبد الرحمان بن رستم بالإمامة سنة 160هـ/777م¹.

نظام الحكم والإدارة :

ترسخ الحكم الوراثي في الأسرة الرستمية حيث اقتصر الحكم على نسل عبد الرحمان بن رستم، وناقض بذلك الرستميون مبدأ الشورى الذي ناد به الخارج والذي ينص على عدم انحصار الحكم في قبيلة أو أسرة معينة².

وأخذت الدولة الرستمية منذ قيامها بالأساليب المعروفة لإدارة الدول، وإن غلب على هذه الأساليب طابع البساطة، الذي تناسب وأوضاع القبائل التي حكمت الدولة، والتي غلب على معظمها الطابع البدوي. وقد وضع عبد الرحمان بن رستم نظاما بسيطا للقضاء، والشرطة، وجباية الأموال، والصدقات، وكان الناتج من أموال الجباية والصدقات، يوزع بصفة خاصة على الفقراء والمساكين، وقد يوقم الإمام بشراء الأكسية والجباب الصوفية، والفراء والزيت لهؤلاء الفقهاء. أما رواتب الإمام ورجال الإدارة في الدولة والعمال، فكانت تدفع من مال الجزية وخراج الأرض³.

وقد قسم الرستميون دولتهم إلى عمالات، أهمها في شرق الدولة في المغرب الأدنى هي قفصة، سرت، نفاوة، قنطرة، جبل نفوسة، قابس، وجبل دمر. وكان الأئمة الرستميون يتابعون العمال والرعية، عن طريق رسائل يكتبونها يشرحون فيها مبادئ المجتمع الإباضي، وكلها تركز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الأئمة⁴.

¹ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 196. محمد عيسى الحريزي، الدولة الرستمية، ص 82 وما بعدها.

² عندا ثم انتخاب عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم للإمامة، القسم الرستميون إلى فرقتين إحداهما تناصره وتدعى الوهيبية، والأخرى تعارض أمر توليه السلطة فسميت نكارية، ورغم قتل زعيم النكارية إلا أنه بقيت منهم جماعات متفرقة في القبائل، وقد ظهر فيما بعد منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري المعروف بصاحب الحمار والذي قاد ثورة كبيرة ضد العبيديين (الفاطميين). أنظر : حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 118-119.

³ محمد عيسى الحريزي، الدولة الرستمية، ص 229.

⁴ نفسه.

وسار الرستميون على سنن المشاركة في كافة النظم الإدارية الأخرى، التي تكفل ضبط الأمور في دولتهم، فأنشئوا هازا للشرطة يقوم بأعمال الحراسة والمحافظة على الأمن. وأسس الإمام أبو اليقضان فرقة كاملة للقيام بأعمال الحسية، وكان أفراد هذه الفرقة من قبيلة نفوسة الإباضية. وقام الرستميون نظاما تمتع القضاة في ظلهم بالنزاهة التامة، وحظوا بالاحترام الكامل من قبل الأئمة، حيث لم يسمح هؤلاء القضاة لأحد بأن يتدخل في شؤونهم، وكان القاضي يرى أن الأئمة وأبناءهم فوق كل الشبهات، وينبغي أن يكون الجميع قدوة طيبة للرعية. لذات نجد القاضي محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ يستقبل من منصب القضاء، لأن أبناء الإمام أبي اليقضان استغلوا كونهم أبناء الإمام وارتكبوا بعض الأخطاء. وفضلا عن ذلك اتخذ الرستميون الوزراء، والكتاب، والحجاب، والحراس، ونظام السجلات والخاتم، وكلها نظم ورسوم تأثرت إلى حد كبير بالتقاليد الفارسية في الإدارة والحكم، ومن أشهر الوزراء السمع بن أبي الخطاب، ومحمد بن عرفة¹.

وعن عمر دولتهم فقد عمرت حوالي قرنا وثلاثين عاما إلى أن أسقطت سنة 296هـ/909م من قبل العبيديين (الفاطميين).

العلاقات الخارجية :

اتسمت العلاقات بين الرستميين والأدارسة بالعداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسياسية، فالأدارسة سنة مالكية أما بنو رستم فكانوا خوارج إباضية، وقد كان الأدارسة يغيرون على أملاك الدولة الرستمية لمحاولة اقتطاع أجزاء منها، ونجحوا في الاستيلاء على تلمسان سنة 173هـ/790م، كما حاكوا المؤامرات لبني رستم حيث كانوا وراء تمرد الواصلين على الإمام عبد الوهاب سنة 195هـ/811م، وأغلب الظن أن ثورات قبيلة هوارة على الرستميين لم تخل من تحريض الأدارسة، وعن رد فعل الرستميين الذي لم يكن قويا فقد قام الإمام عبد الوهاب بتحريض أصحابه من بني يفرن على الثورة ضد الأدارسة فنجحوا في ثورتهم مدة إلى أن أخضعهم بصورة نهائية إلى نفوذ فاس الإمام إدريس الثاني سنة 197هـ/813م. وهكذا اتسمت علاقات بني رستم السياسية مع الأدارسة بطابع الداء وأسفر الصراع بين الدولتين عن تغلب الأدارسة واستكانة الرستميين لأنهم لم يتمكنوا من مجاراتهم في تدبير المكائد وإحداث الشقاق².

¹ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية، ص 230.

² سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ط1، ص 166 وما بعدها.

وفيما يخص علاقتهم مع جيرانهم الأغالبة فقد قرر الرستميون إتباع سياسة التعايش السلمي مع دولة الأغالبة وهي الجار الأقوى عل حدودهم الشرقية، بالرغم من خلافاتهم المذهبية ومسألة موالاة الأغالبة لأعدائهم العباسيين، وانتهاج الرستميين للتعايش السلمي يرجع في حقيقة الأمر إلى طبيعة الحدود المشتركة بين الدولتين، إذ تطرق دولة الأغالبة الدولة الرستمية من الشرق والجنوب وحتى من الغرب لما احتل الرستميون طرابلس وما حاورها، ولم تكن هذه الحدود واضحة المعالم. وهذا التعايش السلمي لا يعني أنه لم يكن هناك عداً بينهما، بالرغم من كون الأغالبة لم يستطيعوا الإفصاح عن هذا العداً كما فعلوا مع باقي الدول المعادية للخلافة العباسية لذا عمدوا إلى تشجيع القلاقل والخلافات التي كانت تظهر بين الين والآخر في مجتمع الدولة الرستمية¹.

وعن علاقة الرستميين بالأمويين في الأندلس فقد كانت علاقة ودية، على اعتبار أنهما يملكان عدواً مشتركاً وهم العباسيون، وقد قامت بين قرطبة وتيهرت علاقات تجارية وكانت السفن تتردد على مدينتي وهران والمرية، وكانت تيهرت تضم جالية كبيرة من أهل الأندلس، وكان لأفلاح بن عبد الوهاب مع أمراء بني أمية مودة كبيرة حيث كانوا يتبادلون الهدايا النفيسة².

وبالنسبة لعلاقتهم مع العباسيين فقد كانت علاقة عداً لأن الرستميين اقتطعوا جزءاً من ممتلكات العباسيين بالمغرب، ولوجود عداً تقليدي بين الخلافة العباسية السنية وبين الإباضية باعتبار أنهم فرقة من الخوارج، ورغم هذا العداً فقد كانت هناك فترات من السلم والمودعة بين الدولتين ساهم في وجود علاقات ثقافية تمثلت في الصلة القوية بين الرستميين وإباضية المشرق خاصة أهل البصرة الذين كانوا من الناحية الشكلية من رعايا الدولة العباسية.

ونفس العلاقات بالتقرب كانت بين الرستميين والطولونيين بمصر التابعين للخلافة العباسية، إلا أن السلم كان من الطولونيين أفضل حيث حرص الرستميون على حسن الجوار معهم لأن مصر تمثل الجار الشرقي والمنفذ الوحيد لهم إلى شرق العالم الإسلامي، إلا أنه يلاحظ أن العلاقات السياسية كانت ضعيفة في حين نشطت العلاقات التجارية والثقافية ومرجع ذلك أن مصر كانت موالية للخلافة العباسية³.

¹ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية، ص 196 وما بعدها.

² عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نضرة الشرق القاهرة، دت، ص 157.

³ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية، ص 187 وما بعدها.

الدرس السابع: الأدارسة، الفاطميون.

أولاً: الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى

تأسيس الدولة :

الأدارسة نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) وقد فر إدريس الأول من الجيش العباسي بالمشرك على إثر هزيمة العلويين في معركة فخ¹ يوم السبت الثامن من شهر ذي الحجة سنة 169هـ/10 جوان 786م² ودخل إلى المغرب الإسلامي، وهناك روايتين لكيفية دخوله إلى بلاد المغرب والأقرب منها إلى الحقيقة أنه دخل رفقة مولاه راشد عن طريق مصر حيث ساعده رجلا يدعى واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف "بالمسكين" وكان هذا الرجل يميل إلى العلويين حيث أمن له الطريق للوصول إلى القيروان ثم إلى مدينة تلمسان وارتحل بعدها إدريس إلى طنجة نزل في مدينة وليلي سنة 172هـ/789م وكانت هذه المدينة منطلقاً لنجاح دعوته وتأسيس دولته³.

وقد ساعدته قبيلة أوربية في ذلك عندما بايعوه بالإمامة في شهر رمضان سنة 172هـ/فيفري 789م ثم توالى القبائل الأخرى في مبايعته لحبهم لأهل البيت⁴.

في حدود سنة 192هـ/808م في عهد إدريس الثاني ثم بناء مدينة فاس لتصبح عاصمة للدولة الإدريسية، وقد انتقل إليها الناس وعمروها وشيدوا مبانيها، وقد شملت دولتهم شمال المغرب الأقصى وبعض المدن من المغرب الأوسط كتلمسان وما جاورها⁵.

¹ من فجاج مكة، وقيل من وديانها، بينهما ثلاثة أميال وقيل سنة، ويذكر بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم اغتسل بها قبل دخوله مكة. أنظر : الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م/مج4، ص 237-238. الحموي، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 436-437.

² يرى ابن الأثير وابن خلدون أن معركة فخ كانت يوم التروية الموافق ليوم السبت الثامن ذي الحجة 169هـ/10 جوان 786م وهو الأرجح، بينما يرى الحموي والجميري أنها كانت في شهر ذي القعدة سنة 169هـ/ماي 786م. أنظر : الكامل في التاريخ، مج5، ص 267. تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 10-11. معجم البلدان، مج4، ص 237. الروض المعطار، ص 436.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 268. ابن أبي زرع، الأنيس المطرق بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 15 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 11. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 34-35.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 268. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 11.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 211. سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 149 وما بعدها.

نظام الحكم :

اتبعت الدولة الإدريسية النظام الوراثي حيث حكمها أربعة عشر حاكماً كلهم من نسل إدريس الأول، ويلاحظ على هذه الدولة أنها لم تنشأ على يد الدعاة، ولا كان لها تنظيم سري ولا حمل السلاح كما هو الحال بالنسبة للصفورية والإباضية والعبيديين (الفاطميين)¹، وبالنسبة للمذهب المتبع بالدولة الإدريسية لم تكن شيعية (رافضية) وإنما كانت تجمع بين التسنن والاعتزال في بداياتها الأولى، ثم طغى المذهب السني المالكي عليها فيما بعد، وقد كان إدريس الأول يقول نحن أحق بإتباع مذهب مالك وقراءة كتابه وذلك لرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل²، ومن الأدلة التي تثبت ذلك كون الأدارسة لم يرتكبوا أي أعمال إجرامية في حق أهل السنة كما فعل العبديون الشيعة الروافض.

النظام الإداري :

الإمامة :

بنى الأدارسة حقهم في الملك على أنهم ورثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأحفاده، وأقنعوا أهل المغرب بهذا الحق، وكونوا دولة ثيوقراطية أساس السيادة فيها حقان إلهي وزمني، فكانوا زعماء روحيين وملوكاً زمنيين، وتلقبوا بالأئمة ولم يتلقبوا بالخلفاء لأنهم اعتبروا لقب الإمام أرفع منزلة في الدين من غيره. مع أن شروط الإمامة غير المعصومة والخلافة واحدة.

وقد انعقدت إمامة الأدارسة سمن وجهين : اختيار أهل الحل والعقد والعهد، فالوجه الأول انعقدت على أساسه بيعة أهل المغرب للإمامين إدريس الأول وإدريس الثاني. فقد اجتمع البربر في مدينة ويلي وباعوا الإمامين بعدما تأكد لهم توفر الشروط فيهما وخاصة النسب القرشي، وقد لعب راشد مولى الإمام إدريس الأول دوراً بارزاً في هذا الأمر. أما الوجه الثاني فقد تم بعهد الإمام من قبل إلى من يليه من أبنائه، وهو ما انعقد الإجماع على

¹ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 115 وما بعدها.

² عبد الرحمان بن محمد الجبلاي، المرجع السابق، ص 186.

جوازه ووقع الاتفاق على صحته، وقد اختار الإمام إدريس الثاني ابنه محمد فعهد إليه بالإمامة من بعده على أن يلي ذلك مبايعة أهل الحل والعقد قبل مباشرته مهامه، وكذلك عقد الإمام محمد إلى ابنه علي بالإمامة من بعده¹.

كان الأدارسة أول من دخل المغرب من آل البيت، وهذا ما جعل أنظار البربر تتطلع إليهم باحترام إلى درجة التقديس. فقد ترمى إلى مسامعهم ما حل بهم من المآسي فرغبوا في مساعدتهم بمجرد السماع بذلك. فكيف وهم الآن بينهم؟ وعلى هذا الأساس قدموا للأدارسة أقصى ما يمكن إعطاؤه وملوكهم عليهم. على أن الأدارسة كانوا عند حسن ظن أهل المغرب، فطبقوا أحكام الإسلام وتعاليمه بجدافيرها في دولتهم، وكان الإمام يؤم الناس في الصلاة طيلة أيام الأسبوع وخاصة صلاة الجمعة فكان يلقي الخطبة، وكذلك صلاة العيدين "الفطر والأضحى"، وكان يجلي للناس بعدى كل صلاة وفي أوقات محددة يحكم بينهم ويعالج مشاكلهم، يعظهم ويتقنهم ويعلمهم القرآن وأحكام الإسلام واللغة العربية بتواضع لم يشهده أهل المغرب من قبل، مما زاد من محبتهم لآل البيت وتعلقهم بهم. كما قام الإمام بتفقد أحوال الناس الصحية والمعاشية، حيث كان يعود المرضى ويواسيهم، وكذلك الفقراء والأيتام والأرامل اللواتي فقدن أزواجهن في الحرب. كان بمثابة الأب لهؤلاء المساكين، يقدم لهم العطايا والهبات وكل أنواع المساعدة بالسر والعلانية ليخفف عنهم الألم ويقوي عزائمهم. ولم ينس الإمام سائر المواطنين كان يقومون بزيارة سكان العاصمة كلما سنحت الفرص وكطلك سكان المناطق فكان يركب في جمع من أعوانه وحاشيته يرتاد المناطق للاطلاع على أحوالها فيصلح أمور الناس ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، وكان الإمام يحضر حفلات الزفاف وحضوره يضيف السرور والبهجة على تلك الحفلات، كما كان يشارك في تشييع الموتى ويواسي المصلين ويخفف عنهم الآلام².

الوزارة :

نظم الأئمة الأدارسة جهازهم الإداري منذ أن حلوا أرض المغرب وذلك لتنظيم أمور الدولة الناشئة لخدمة المجتمع الذي رحب بهم والذي كانوا يجهلون عاداتهم وتقاليده لاختلاف البيئة. وبما أن الإمام لا يقدر على مباشرة جميعها بنفسه فلا بد له من اللجوء إلى من يساعده ليكون أبعد عن الزلل وأمنع من الخلل، فكان الوزير. في السنوات الأولى لقيام دولة الأدارسة لم يتلقب الوزراء بهذا اللقب بل كانوا أقرب إلى المستشارين منهم إلى الوزراء، فكان راشد مولى الإمام إدريس الأولى نعم الناصح لسيدته، وإلى جانب راشد كان أبو خالد العبدي البربري. أما الإمام إدريس الثاني فقد اتخذ إلى جانبه وزيرين لمساعدته في تدبير أمور دولته خاصة وأنه كان صغير السن، أسند

¹ سعدون عباس، نصر الله، المرجع السابق، ص 115 وما بعدها.

² سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 117-118.

الوزارة إلى عمير بن مصعب الأزدي العربي وإلى بهللو بن عبد الواحد المطغري البربري ولقب كلا منهما بالوزير : لقد كانت الوزارة في عهد الأدارسة وزارة تنفيذ، فالوزراء لا يستطيعون مباشرة أعمالهم إلا بأمر من الإمام، وكذلك تنفيذ المهمات كان يجري تحت إشرافه كي لا يستبد الوزراء بأمر الدولة كما يحدث في وزارة التفويض¹.

الكتابة :

نتيجة لكثرة أعمال الإمام أصبح من الضروري تعيين موظفين يعاونونه للإشراف على إدارة شؤون البلاد، فكان الكاتب من أعوان الإمام المقربين فهو بمثابة خزنة أسراره ومرآة أحواله ولسانه الذي يخاطب به الأصدقاء والأعداء والقريب والبعيد، فهو أقرب إلى الإمام من الوزير، ولقد تعددت مهامه من كتابة الرسائل وإذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية إلى الأمراء، وختمها بخاتم الإمام وكذلك مراجعة الرسائل ووضعها في الصيغة النهائية، كما كان يجلس في مجلس القضاء للنظر في المظالم وختم الأحكام بخاتم الإمام. وقد اشتهر في صدر الدولة الإدريسية الكاتب أبو الحسن عبد الله بن مالك الأنصاري الخزرجي الذي كان من العرب الوافدين على الإمام إدريس الثاني، وضع نفسه لخدمة الدولة، فاتخذه الإمام كاتباً له، وكان يتمتع بثقافة عالية فاقت ثقافة غيره في المغرب عليهما فهيما بليغا، قام بالأمر خير قيام، ومن المهمات التي كلفه بها الإمام إدريس الثاني كتابة عقد شراء موضع مدينة فاس من أصحابه².

القضاء :

في عهد الإمام إدريس الأول كانت الدولة بدون قاض لأنه كان يجلس للناس يحكم بينهم، ولم تكن مشاكلهم معقدة تتطلب جهداً لحلها. وفي سنة 189هـ/804م وفدت على الإمام إدريس الثاني الوفود من الأندلس وإفريقيا، فاختر منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي وعينه على القضاء، وكان عامر رجلاً صالحاً ورعاً فقيهاً سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروي عنهما كثيراً، وقد خرج من الأندلس برسم الجهاد ثم جاز المضيق قاصداً بلاد المغرب، وهناك اتصل بالإمام إدريس الثاني حيث قلده القضاء، وكان يحكم وفق المذهب المالكي الذي انتشر في المغرب والأندلس في وقت واحد هو نهاية القرن الثاني للهجرة³.

¹ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 118 وما بعدها.

² سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 122 وما بعدها.

³ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 125-126.

الجيش :

وهو من المؤسسات التي حظيت باهتمام الأئمة. لقد بدأ الأدارسة بتنظيم جيشهم منذ أن وطأت أقدامهم أرض المغرب، فقد استطاع الإمام إدريس الأول بعبقريته وحسن قيادته أن يوجد القبائل البربرية ويؤلف قلوبهم وأن يجهز منهم جيشا استطاع بواسطته أن يستولي على المغرب، لقد كان الجيش في تلك المرحلة بربريا صرفا، وقد غلبت عليه ظاهرة التطوع. وفي عهد الإمام إدريس الثاني اتسعت دائرة التجنيد وتعددت جنسيات المتطوعين بانضمام العرب الوافدين من إفريقية والأندلس إلى صفوفه، وكذلك الفرس القادمين من العراق، وكانوا على مستوى عال من التدريب والكفاءة القتالية، وأكثرهم شارك في المعارك الدائرة في الأندلس ضد النصارى وفي المشرق ضد الروم البيزنطيين، فاكسبوا مهارة قتالية جديدة زادت من كفاءة الجيش الإدريسي في المغرب ورفعت من معنوياته. وقد قسم الأئمة الجيش إلى مشاة وفرسان وحملة الأسلحة الثقيلة، أما المعارك فكان يخضع للنظام العسكري السائد في الجيوش الإسلامية، فكان يتألف من ميمنة وميسرة وهما الجناحان وقلب. كان الجناحان يتألفان عادة من الفرسان، أما القلب فكان من صفوف، الصف الأول ويحمل مقاتلوه الرماح لصد هجمات الفرسان، أما الصفوف الباقية فكانت تضم بقية المشاة، وخلف الجميع حملة الأسلحة الثقيلة. أما الأسلحة التي تزود بها الجيش فاختلفت باختلاف عناصره، وكان سلاح المشاة الدروع والسيوف والقسى والسهام والأقواس الطويلة والأطر والخناجر ويرتدون أردية صوفية خشنة بمثابة الدروع متدلّية إلى ما تحت الركبة والسرراويل والنعال. أما الفرسان فكان سلاحهم السيوف والرماح والدرق اللمطية ويلبسون الدروع والخوذ الحديدية¹.

سقوط الدولة :

بالنسبة لنهاية الدولة الإدريسية بصفة نهائية فقد كان سنة 375هـ/985م على يد العبيديون الذين هزموهم في سنة 296هـ/909م فأعادوا بعث دولتهم ثم هزموهم سنة 305هـ/917م ثم سنة 309هـ/921م، وفي سنة 313هـ/925م مكنوا موسى بن أبي العافية المكناسي من الاستيلاء على دولتهم، وتوالت هزائمهم تباعا إلى أن تم القضاء عليهم نهائيا سنة 375هـ/985م².

¹ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 127-128.

² عن كيفية سقوط الدولة الإدريسية والأسباب التي أدت إلى ذلك. أنظر : محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 83 وما بعدها.

العلاقات الخارجية :

تأثرت سياسة الأدارسة الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الديني وظروفها السياسية. ولقد تطرقنا سابقا للحديث عن علاقة الأدارسة مع الدولتين المدراية والرستمية، وسأتحدث الآن عن علاقاتها مع الخلافة العباسية بالمشرق ودولة الأغالبة بالمغرب، وكذلك علاقتها مع الخلافة الأموية بالأندلس والعبديين (الفاطميين) بالمغرب.

فقد كانت علاقتهم مع الخلافة العباسية علاقة عداء شديد، فالعداء الذين كان بين أبناء العمومة العباسيين والعلويين في المشرق استمر أكثر حدة لما أسس الأدارسة العلويين دولتهم في المغرب الأقصى، وقد حاول الخليفة العباسي هارون الرشيد القضاء على هذه الدولة الناشئة خاصة بعد أن امتدت حدودها إلى المغرب الأوسط ولكن بعد العراق حال دون إرسال الجيوش، ومن مظاهر هذا العداء الشديد بين الطرفين تلك الرسالة الخطيرة والهامة التي أرسلها إدريس الأول إلى أهل مصل يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ويطالبهم بتأييده ومساندته¹، وقد أقلقته هذه الرسالة كثيرا الخليفة الرشيد فسارع للتخلص من الإمام إدريس حيث أرسل أحد جواسيسه "سليمان بن حرير الشماخ" الذي تمكن من اغتياله بالسهم، ثم اغتيال راشد مولى الإمام إدريس ومع هذا لم يستطيعوا القضاء على دولة الأدارسة وهم في أوج عزهم وقوتهم، عند ذلك عزموا على التآمر المباشر وكلفوا ولائهم الأغالبة في إفريقية بهذه المهمة، واستمرت لعلاقات العدائية حتى سقوط الدولة نهائيا ولم تشهد أي نوع من التقارب².

وفيما يخص علاقتهم مع دولة الأغالبة فمن الطبيعي أن تكون امتدادا لعلاقات بغداد بفاس فدولة الأغالبة كانت تدين بالولاء السياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي، ولقد فرضت الظروف الجغرافية والسياسية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدائيا ولكن هذا العداء لم يبلغ حد القتال وتجهيز الجيوش لوجود فاصل بينهما هو دولة بني رستم الخارجية³.

وعن علاقة الأدارسة بالأمويين بالأندلس فقد اتسمت هي الأخرى بالطابع العدائي على العموم نتيجة العداء الموروث في المشرق بين الأمويين والعلويين، ورغم ذلك لم يحدث التصادم الحربي بينهما لأنهما يملكان عدوا

¹ عبد الهادي النازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدولة الإدريسية، مطابع فضالة، المحمدية، 1987، مج4، ص 39 وما بعدها.

² سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 163.

³ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 163-164.

مشاركاً وهو الخلافة العباسية بالمشرق وحليفهم دولة الأغالبة بالمغرب، فكلا الدولتين خضعتا لسياسة الاعتراف بالأمر الواقع، واقتصرت مظاهر العداء بينهما على حيك المؤامرات والمكائد والتجسس وتشجيع المنتزعين، وقد حرص الطرفين رغم ذلك على توطيد العلاقات الاقتصادية إذ حرص أمويو الأندلس على أن تظل أسواق المغرب الأقصى مفتوحة أمام بضائعهم فضلاً عن الفوز بنصيب من تجارة السودان الغربي عن طريق تجار الأدارسة¹.

وبالنسبة لعلاقة الأدارسة بالعبديين (الفاطميين) فقد كانت علاقة حرب وتصادم، على اعتبار أن العبديين أسقطوا دولة الأدارسة سنة 296هـ/909م، وبإحياء الأدارسة لدولتهم تجددت المعارك بين الدولتين إلى أن سقطت دولة الأدارسة بصفة نهائية سنة 375هـ/985م.

وعلى العموم فقد اتسمت علاقتهما بالعداء ولكن تخللتها نوع من المرونة لكون الأدارسة كانوا بين مطرقة العبديين وسندان الأمويين بالأندلس فقد وقفوا موقف المتردد تارة يؤيدون العبديين وأخرى يناصرون الأمويين حسب مقتضى الحال مستهدفين بذلك مجرد البقاء والاستمرار².

ثانياً: الدولة العبديية (الفاطمية) في المغرب الإسلامي

بداية الدعوة وتأسيس الدولة :

تمكن الداعي أبو عبد الله الشيعي من دخول بلاد المغرب الإسلامي في حدود سنة 288هـ/901م مع جماعة من قبيلة كتامة تعرف عليها في الحج³، ودخل معهم إلى بلادهم بالمغرب الأوسط في زي معلم القرآن، ولما استقر به المقام وكون جيشاً قوياً أفصح عن دعوته وشرع في تهيئة الأرضية لتأسيس دولة على المذهب الشيعي، ثم أرسل إلى إمامه عبيد الله المهدي الذي كان متخفياً بقرية سلمية القريبة من حمص ببلاد الشام للقدوم إليه، فجاء متخفياً إلى بلاد الغرب فاستقر بالقيروان، وعندما أحس بالخطر فر إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى ودخلها في زي التجار، وبقي فيها يتحرك كما يريد إلى أن وصل الأمر إلى الخليفة العباسي والأغالبة يخيرون بني مدرار بأمر هذا الرجل وخطورته فألقوا عليه القبض وسجنوه. ولما تمكن أبو عبد الله الداعي من الانتصار على الأغالبة سنة 296هـ/909م توجه بعساكره إلى سجلماسة وفي طريقه أطاح بالدولتين الرستمية والإدرسية وحاصر سجلماسة

¹ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 149 وما بعدها.

² محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 159 وما بعدها.

³ جاء أبو عبد الله الداعي إلى بلاد المغرب استجابة لأمر معلمه باليمن ابن حوشب الذي سمع بوفاة كبار دعاة الشيعة الحلواني وأبي سفيان في بلاد المغرب، فأعطاه مالا وقال له "إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها ممهدة لك". أنظر : ابن الأثير، المصدر السابق، مج4، ص 450. عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 41-42.

مدة طويلة وفي النهاية دخلها وأخرج عبيد الله المهدي من السجن وعاد به إلى القيروان، وبايعه رفقة جيشه بالإمامة وبذلك تظهر الدولة العبيدية (الفاطمية) للوجود، والتي اتخذت حكامها من مدينة المهديّة بالمغرب الأدنى عاصمة لدولتهم¹.

نظام الحكم ومذهب الدولة :

أسقطت الدولة العبيدية (الفاطمية) كل دول بلاد المغرب "الأغلبية، الرستمية، المدرارية، والإدرسية" وملكّت بذلك بلاد المغرب قاطبة وهذا في حدود 296هـ/909م، كما ملكّت جزيرة صقلية، وقد اتبعت هذه الدولة النظام الوراثي حيث كان الحكم في عقب عبيد الله المهدي، واتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهباً رسمياً للدولة²، وادعى مؤسسها بأنه من نسل فاطمة الزهراء كما ادعى بأنه المهدي المنتظر وأنه الإمام المعصوم لكي يخدع الناس ويستميلهم إليه، وينفي بعض المؤرخين انتسابه لفاطمة الزهراء وقيل بأنه ابن ميمون القداح الديصاني المجوسي³.

ثورة السنين والإباضيين على العبيديين :

عندما استقر المقام بعبيد الله المهدي في بلاد المغرب وأحس جفاء من أبو عبد الله الداعي وأخيه قتلها وأظهر مذهب الشيعي الإسماعيلي الرافضي⁴، فوجد معارضة شديدة من السنين والخوارج الذين قاموا بثورات عديدة ضد هؤلاء الظلمة، أشهرها ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الملقب بصاحب الحمار، وقد دامت ثورته أربع سنوات 332-336هـ/944-948م وقامت هذه الثورة للأسباب التالية :

- فرض المذهب الإسماعيلي الشيعي الرافضي على المغاربة بالقوة.
- محاربة المذهب السني والإباضي معاً.
- إجماع علماء القيروان وسائر بلاد المغرب على تكفير العبيديين وأنهم زنادقة.
- إفتاء علماء القيروان بجواز التعاون مع الخوارج الإباضية ضد الزنادقة العبيديين.

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 450 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 149 وما بعدها. علي حسني الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972، ص 31 وما بعدها.

² علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص 56-57.

³ عن مشكلة النسب الفاطمي لعبيد الله المهدي. أنظر : ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 446 وما بعدها.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 461 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 164-165.

- ارتكاب العبيديين أعمال إجرامية شنيعة ضد أهل السنة ببلاد المغرب، فقد قتلوا الكثير من العلماء والفقهاء والرعية، ومن بين أعالمهم الإجرامية التي لا تعد ولا تحصى أن الإمام الثاني القائم بن عبيد الله المهدي كان مناديه ينادي أمام الملاء "العنوا الغار وما حوى" وهم يقصدون غار ثور الذي كان فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق متخفيان في هجرتهما إلى المدينة المنورة، كما كان أتباعه يعلقن رؤوس الحمير في الحوانيت ويكتبون عليها أسماء الصحابة¹.

وعن هذه الثورة التي تزعمها الخارجي مخلد بن كيداد وساعده في ذلك السنيون فقد كانت ثورة كبيرة قام خلالها مخلد بن كيداد بحصار المهديّة عاصمة العبيديين مدة أربع سنوات 332-336هـ/944-948م وكاد أن يهزمهم لطول مدة الحصار وتضرر أهل المدينة بسبب الجوع، ولم يتمكن العبيديون من القضاء على هذه الثورة إلا عندما انفضت القبائل الزناتية وتخلت عن نصرته مخلد بن كيداد الذي اضطر إلى فك الحصار وهذا في عهد الخليفة العبيدي المنصور الذي خلف والده القائم المتوفي سنة 334هـ/946م أثناء الحصار، وقد لحق المنصور جيش مخلد بن كيداد عندما فض الحصار وألحق به الهزيمة، وألقى القبض على زعيمهم مخلد بن كيداد وقام بقتله وبذلك تمكن العبيديون من قمع أخطر ثورة ضدهم في بلاد المغرب. ورغم انتصار العبيديون في هذه الثورة في آخر المطاف إلا أنهم أخذوا درسا كبيرا حيث تأكد لهم أنه لا مقام لهم في بلاد المغرب لذا سعوا جاهدين للانتقال إلى بلاد المشرق الإسلامي².

انتقال العبيديون إلى مصر (المشرق الإسلامي) :

جعل العبيديون من بلاد المغرب منطلقا لبناء دولتهم ولكن كان هدفهم الأسمى هو الانتقال إلى بلاد المشرق لمقاومة العباسيين والقضاء على دولتهم والاستيلاء على الحرمين الشريفين، فكانت لحكام الدولة العبيدية العديد من المحاولات للاستيلاء على مصر وقد تكلفت محاولاتهم بالفشل في عهد إمامهم الرابع المعز لدين الله الذي أرسل جيشا ضخما بقيادة جوهر الصقلي من المغرب إلى مصر يوم السبت 14 ربيع الأول 358هـ/969م، وقد تمكن هذا الجيش من الاستيلاء على مصر مستغلا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية فيها بعد موت حاكمها "كافور الإخشيد" سنة 355هـ/966م. وقد انتقل المعز لدين الله العبيدي إلى مصر بعد

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 188-189. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 216. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 180-181.

² ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 189 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 216 وما بعدها. عبد الله محمد حمال الدين، المرجع السابق، ص 65 وما بعدها.

أربع سنوات من الاستيلاء عليها أي في سنة 362هـ/973م، واتخذ من القاهرة عاصمة لدولته، وترك في بلاد المغرب الزيرون حكاما عليها¹، وقد عمرت دولتهم في المشرق الإسلامي حوالي قرنين من الزمان حيث سقطت سنة 567هـ/1171م بقيادة صلاح الدين الأيوبي².

العلاقات الخارجية :

معلوم بالضرورة أن علاقة العبيديين (الفاطميين) بالخلافة العباسية هي علاقة عداء شديد، وهو عداء قديم يعود جذوره إلى الصراع العباسي في المشرق الإسلامي، فالعلويين يرمون العباسيين بالخيانة ويتهمونهم بسرقة الحكم منهم بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 132هـ/149م. فانتقل هذا الصراع إلى بلاد المغرب بعد أن قام العباديون بإسقاط دولة الأغالبة حليفة العباسيين والاستيلاء على كامل بلاد المغرب وتطلع هؤلاء للاستيلاء على بلاد المشرق الإسلامي.

وكانت علاقتهم مع الأمويين في الأندلس علاقة عداء وحرب أيضا، نتيجة الاختلاف المذهبي فالفاطميين شيعة روافض والأمويين سنة، وكانت بلاد المغرب ميدان للصراع بين الدولتين حيث عملت كل دولة على استمالة القبائل البربرية إلى صفها خاصة قبيلة زناتة في غرب بلاد المغرب. وحاول كل من الطرفين إرسال دعواته ورجاله للتعرف على مواطن الضعف في الأسلحة³. سنة 484هـ/1091م⁴.

¹ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 93 وما بعدها. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 150-151.

² ابن الأثير، المصدر السابق، ص 446.

³ سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية 300-399هـ/912-1008م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ط1، ص 79 وما بعدها.

⁴ عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 335.

الدرس الثامن: الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى

تأسيس الدولة :

ثار الأهالي على والي القيروان محمد بن مقاتل العكي لكونه كان حاكما طلوما وآزرهم في ثورتهم عامله على تونس تمام بن تميم، وعندما لم يقدر ابن مقاتل الصمود أمام هذه الثورة فر إلى طرابلس وبعث إلى إبراهيم بن الأغلب حاكم إقليم الزاب بمدينة طنبة يطلب النجدة منه، فلبى إبراهيم النجدة عام 183هـ/799م فأعاد الأمن إلى نصابه، وأعاد ابن مقاتل إلى مركزه كوالي على القيروان، ولكن الأهالي كرهوا حكمه ورفضوا إعلان الولاء والطاعة وطلبوا من إبراهيم أن يتولى شؤونهم، فكتب بذلك إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أجاب رغبته ورغبتهم وكافه على حسن بلائه وعقد له ولأبنائه من بعده بولاية العهد على إفريقية مقابل خراج سنوي تدفعه إمارته إلى الخليفة مقداره أربعون ألف دينار وذلك عام 184هـ/800م فنشأ مدينة العباسية¹ على ثلاثة أميال من القيروان واتخذها عاصمة لدولته².

وهكذا ظهرت الدولة الأغلبية التي تمتعت بشبه استقلال ذاتي تستظل بالخلافة العباسية، حيث كان الأغلبة يذكرون اسم الخليفة على المنابر ويرسلون له خراجا سنويا، وينقشون اسمه على السكة³.

نظام الحكم ونهاية الدولة :

امتدت حدود الدولة الأغلبية من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط (الجهة الشرقية منه) وإلى بلاد الزاب في الجنوب، واتبعت الحكم الوراثي حيث اقتصر الحكم على أسرة مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب وحكم منهم أحد عشر أميراً⁴، واستمرت هذه الدولة قائمة حوالي قرن من الزمن حيث قضى عليها العبيديون (الفاطميون) سنة 296هـ/909م⁵.

¹ نشير إلى أن الأغلبة اتخذوا مدينة العباسية عاصمة أولى لدولتهم وقد سميت بهذا الاسم تعبيرا عن ولائهم للعباسيين ثم سميت بالقصر القديم، ونقلوا العاصمة فيما بعد إلى القيروان كما نقلت إلى رقادة التي سميت بالقصر الجديد في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد. أنظر : ابن وردان، تاريخ مملكة الأغلبية، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ط1، ص 40-41. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 97-98.

² ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 313. ابن وردان، المصدر السابق، ص 30 وما بعدها.

³ ابن وردان، المصدر السابق، ص 33.

⁴ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 95 وما بعدها.

⁵ ابن الأثير، المصدر السابق، مج5، ص 455 وما بعدها. ابن وردان، المصدر السابق، ص 34. عبد الله محمد، جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصل إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 45 وما بعدها.

واهتم الأغالبة بالجهاد البحري حيث وجهوا حملات عديدة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط، ففتحوا جزيرة صقلية سنة 212هـ/827م بقيادة أسد بن الفرات في عهد الأمير زيادة الله الأول ونشروا الحضارة الإسلامية فيها، كما فتحوا جزيرة مالطة عام 255هـ/869م في عهد الأمير محمد الثاني أبي الغرائق، كما فتحوا عدة جهات جنوب شرق إيطاليا وأرغموا البابا على دفع غرامة مالية كبيرة لهم سنة 262هـ/876م¹.

العلاقات الخارجية :

بطبيعة الحال فقد كانت علاقة الأغالبة بالعباسيين علاقة ولاء لأن دولتهم تابعة للخلافة العباسية وتتمتع بشبه استقلال ذاتي، وكانت علاقتهم بالأمويين في الأندلس امتدادا لعلاقة العباسيين بالأمويين، فقد تميزت بالعداء الشديد وصلت إلى حد الإغارة على أملاك الأغالبة وتخريب مدنها، وإن كنا مع ذلك نذكر مساعدة أسطول الأمويين في الأندلس للأغالبة أثناء فتح صقلية².

وفيما يخص علاقتهم مع العبيديين (الفاطميين) فهي علاقة عداء وحروب، ومعلوم بالضرورة أن الفاطميين هم الذين أسقطوا دولة الأغالبة بصفة نهائية سنة 296هـ/909م وملكوا أراضيها³.

وبالنسبة لعلاقة الأغالبة مع دولة الطولونيين بمصر، كانت ودية على اعتبار أن كلا الدولتين تخضعان للخلافة العباسية وتقر بسلطانها وتدفع لها قدرا من المال، ولم تحدث بينهما حروب إلا في سنة 267هـ/881م حينما قاد العباس بن أحمد بن طولون حملة عسكري للاستيلاء على إفريقية ولكن الأغالبة استطاعوا هزيمته وأتمت الحملة بالفشل⁴.

وعن علاقة الأغالبة بالعالم المسيحي فقد كانت شديدة العداء، وقد بدأ هذا العداء سنة 206هـ/821م حيث شنت السفن الأغلبية عدة غارات على سردينية عادت محملة بالغنائم، وشن الفرنجة بدورهم غارات على إفريقية، ووصلت غارتهم حتى مشارف أبواب القيروان، واشتد العداء بينهم بين حملة الأغالبة على صقلية

¹ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 111 وما بعدها. عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 220 وما بعدها.

² محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 136-137.

³ عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 309 وما بعدها.

⁴ محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 137 وما بعدها.

واستيلائهم عليها سنة 212هـ/827م وعبورهم مضيق مسينا إلى شبه الجزيرة الإيطالية التي كان يخضع معظمها للإمبراطورية الكارولنجية¹.

الدرس التاسع: الدول المستقلة بعد القرن الرابع الهجري الزيريون، الحماديون.

أولاً: الدولة الزيرية في المغرب الإسلامي

نشأة الدولة :

ينتسب الزيريون إلى قبيلة صنهاجة البربرية وزعيمها الأكبر هو زيري بن مناد الصنهاجي الذي قيل بأنه ساعد العبيديون (الفاطميون) في القضاء على ثورة صاحب الحمار فأكرمه المنصور بالله بن القائم العبيدي وعينه أميراً على قومه تقديراً لجهوده وخدماته وولاه أمر تيهرت وباغاية فأمنت دولة العبيديين يومئذ من أخطار سكان هذه النواحي من بني يفرن الزناتيين وبعد حوالي ستة وعشرين سنة من الحكم قتل زيري بن مناد في رمضان 360هـ/جويلية 971م في حربه ضد قبائل زناتة الموالية للأمويين في الأندلس، عين المعز بن المنصور العبيدي "بلكين بن زيري" والياً على أشير والمسيلة وتيهرت فأحسن الولاية فيها، واتخذ من أشير التي بناها والده سنة 324هـ/936م عاصمة لولايته واستطاع أن يحمي ظهر العبيديين من الجهة الغربية لبلاد المغرب حيث تصدى للقبائل الزناتية التي كانت ترتبص بالعبيديين².

وعندما عزم المعز بن المنصور العبيدي الانتقال إلى مصر عام 362هـ/973م جعل بلكين بن زيري أميراً على بلاد المغرب كلها ما عدلاً صقلية وطرابلس وقبيلة كتامة، وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه بسيف الدولة، وكان ذلك بداية فعلية لظهور الدولة الزيرية الصنهاجية ببلاد المغرب³.

نظام الحكم وسقوط الدولة :

اتبعت الدولة الزيرية النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل زيري بن مناد، وقد حكمها حوالي تسعة أمراء، جعلوا من المهديّة بتونس عاصمة لهم، وكان المذهب المتبع في بداية الدولة الزيرية هو المذهب الشيعي الرافضي على اعتبار أنهم كانوا تابعين للعبيديين في مصر، وهو المذهب الرسمي للدولة في حين أن الكثير من أهل

¹ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 129 وما بعدها.

² الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ط1، ج1، ص 31 وما بعدها. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 145.

³ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 228.

المغرب كانوا على مذهب السنة وكانوا يعارضون المذهب الشيعي، وقد حدث في عهد المعز باديس تحول جذري بالنسبة للجانب المذهبي حيث تخلى عن المذهب الشيعي وحول إلى المذهب السني المالكي وبذلك تحول جميع سكان الدولة إلى المذهب السني وهذا في حدود عام 440هـ/1048م، كما قطع المعز الدعوة للعبديين في القاهرة وحولها إلى العباسيين في بغداد¹، وعندما لم يستطع العبيديون الانتقام منه عسكرياً أرسلوا في حدود سنة 442هـ/1050م أعراب بني هلال وبني سليم وغيرهم إلى بلاد المغرب للقضاء على الزيريين والحماديين معاً²، فساد الاضطراب والفوضى في المغرب فسهل على النورمان الاستيلاء على المهديّة عاصمة الزيريين عام 543هـ/1148م وكانت بذلك الضربة القاضية والنهائية الحتمية لهذه الدولة ونشير إلى أن الموحدين استولوا فيما بعد على عاصمة الزيريين المهديّة سنة 555هـ/1160م وقضوا على النورمان واستولوا على كافة بلاد المغرب الإسلامي³.

العلاقات الخارجية :

كانت علاقة الزيريين مع العبيديين في البداية علاقة ولاء شديد لأن الدولة الزيرية في المغرب كانت تابعة للخلافة العبيدية (الفاطمية) في مصر، وتغيرت العلاقات بينهما بصفة جذرية لما تولى السلطة المعز بن باديس الزيري فغير ولاءه للعباسيين في بغداد وتخلّى عن ولاءه للعبديين في مصر، وغير مذهب دولته الرسمي من المذهب الشيعي إلى السني، فحدثت بذلك القطيعة واستفحل العداء بين الزيريين والعبديين الذين عمدوا للانتقام بشتى الطرق منها إرسال أعراب بني هلال وسليم لاجتياح دولتهم في المغرب⁴.

وفيما يخص علاقة الزيريين بأبناء عمومتهم الحماديين فقد تراوحت بين السلم والحرب، ففي البداية كانت العلاقات جيدة وأخوية على اعتبار أن الزيريين جعلوا الحماديين ولاة على مدينة أشير تابعين لهم، ولكن عندما أسس حماد بن بلكين قلعة بني حماد سنة 398هـ/1008م وأعلن قيام دولة خاصة به حدثت حروب بينه وبين أبناء عمومته، وفي سنة 408هـ/1017م حدث الصلح بين حماد والمعز بن باديس فعادت علاقة الود والأخوة بين

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، مج6، ص 295. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 273-274.

² ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 295 وما بعدها.

³ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 146.

⁴ حسين خضيري أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب 362-567هـ/973-1171م، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، دت، ص

27 وما بعدها.

الدولتين، وعلى العموم فقد بقيت علاقة السلم والموادعة بينهما ولكن الدولتين فشلتا في تشكيل جبهة واحدة في محاربة القبائل العربية¹.

ثانيا: الدولة الحمادية في المغرب الأوسط

قيام الدولة :

ظهرت الدولة الحمادية إلى الوجود أواخر القرن الرابع الهجري تحديدا سنة 398هـ/1008م²، وكان مؤسسها "حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي" الذي اتخذ من قلعة بن حماد (قلعة أبي طويل)³ التي تقع فوق سفح جبل تقربوست⁴ بولاية المسيلة حاليا عاصمة لدولته الناشئة⁵.

وقد شيد هذه القلعة على منحدر وعر فوق سفح جبل تقربوست على الحدود الشمالية لسهل الحضنة وعلى مسافة ستة وثلاثون كيلومتر من ولاية المسيلة وبالتحديد ببلدية المعاضيد دائرة أولاد دراج حاليا، وغير بعيدة كثيرا من ولاية برج بوعرييج ومدينة برج غدير التي سبقت بناء القلعة حيث ترجع إلى العهد الروماني⁶، ويحد القلعة شرقا واد فرج الذي يجري من الشمال إلى الجنوب وعرف باسم وادي جراوة في العهد الحمادي، ويحدها غربا قمة الغورين الشاهقة (1190 متر) التي لا يفصل بينهما وبين جبل الرحمة سوى مضيق يمكن الدفاع عنه بسهولة، ومن الجنوب يحدها طريق كثير التعاريج يسائر وادي فرج⁷.

¹ عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1991، ط2، ص 170 وما بعدها.

² ابن خلدون، العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1391هـ/1971م، ج6، ص 171. إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 119.

³ أسست مدينة قلعة بني حماد على أنقاض قلعة تعرف بقلعة أبي طويل. أنظر : مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد، دت، ص 128. حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج1، ص 129-130.

⁴ تقربوست معناها باللغة الأمازيغية السرح، وهذه التسمية هي التي حولها العرب إلى جريسة، وهذا الجبل الذي يحمل في كتب التاريخ أيضا اسم جبل كيانة ويسمى في الوقت الحاضر جبل المعاضيد. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 119 هامش (2).

⁵ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 119.

⁶ حساني مختار، المرجع السابق، ج1، ص 129.

⁷ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 119.

وفي مدة قصيرة بلغت حوالي عامين أتم حماد بن بلكين بناء القلعة، فلم يأت رأس السنة الرابعة للهجرة حتى كانت الشوارع مكتظة والمساجد زاخرة والفنادق عامرة حيث رحل إليها من الثغور والقاصية والبلاد البعيدة أرباب الصناعة والتجارة وأهل العلم والطلبة، وظل حماد بن بلكين يفتح الحصون والقرى ويضمها إلى ولايته¹.

وقد ذكر المؤرخون العديد من الأسباب التي جعلت حماد بن بلكين يشيد القلعة ويتخلى تدريجياً على مدينة أشير التي جعلها أبناء عمومته الزيريين واليا عليها بعد انتقلهم إلى عاصمة العبيديين (الفاطميين) في بلاد المغرب المهدية، ومن أهم هذه الأسباب الموقع الاستراتيجي والعسكري للقلعة حيث شكلت حصناً منيعاً للحماديين عندما اشتدت بهم الخطوب، لأن أشير التي كانوا يقيمون بها أصبحت غير صالحة نتيجة لقرتها من مضارب قبائل زناتة التي كانت دائماً تهدد ملكهم بالسقوط، كما أن القلعة تتميز بالحصانة الطبيعية لأنه لا يوجد أي منفذ سهولة²، سهل³. لدولته⁴.

نظام الحكم ونهاية الدولة :

اعتمد الحماديون كغيرهم على النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل حماد بن بلكين، وفيما يخص الجانب المذهبي فقد كانوا في بداية الأمر على المذهب الشيعي في عهد حماد، ولكن في عهد ولده القائد تحلى عن المذهب الشيعي وتحول للمذهب السني، كما تحلى عن الولاء للعبيديين في مصر وأعلن الولاء للعباسيين في بغداد. وتجدد الإشارة إلى أن الدولة الحمادية عمرت والي قرن ونصف القرن، حيث كانت قلعة بني حماد العاصمة الأولى لهم لأكثر من نصف قرن بالتقريب حوالي ثلاثة وستون سنة وتعتبر مرحلة تأسيس للدولة، ثم انتقل الحماديون إلى بجاية فكانت العاصمة الثانية لهم في حدود سنة 461هـ/1069م⁵ وعمرت دولتهم حوالي قرن من الزمن، وتعتبر هذه المرحلة هي مرحلة التقدم والازدهار والرقي في جميع المجالات، وقد سقطت الدولة على يد الموحدين بقيادة أميرهم عبد المؤمن بن علي الكومي الذي استولى على عاصمتهم بجاية بعد عدة معارك عام 547هـ/1152م⁶.

أسباب انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية :

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 171. محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 92.

² حساني مختار، المرجع السابق، ج1، ص 129 وما بعدها.

³ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 93.

⁴ حساني مختار، المرجع السابق، ج1، ص 130-131.

⁵ ابن خلدون، لعبر، ج6، ص 174.

⁶ ابن الأثير، المصدر السابق، مج9، ص 372-373.

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية وعن سبب انتقالهم ومن قام ببناء بجاية، حيث يرى كل من الحموي وابن الأثير والذهبي بأن الناصر بن علناس هو من قام ببنائها سنة 457هـ/1065م، وينفرد كل من الحموي وابن الأثير يذكر سبب بناءها حيث يرجعه هذا الأخير إلى نصيحة محمد بن البعبع رسول تميم بن المعز الزيري إلى الناصر بن علناس حيث أشار عليه ببناء بجاية والانتقال إليها لكي يقترب من إفريقية ويمتلك المهديّة وغيرها من مدن أبناء عمومته الزيريين، في حين يرجعه الحموي إلى رغبة الناصر بن علناس في تحصيل الأمان للحماديين من كيد أعدائهم ولكي تعم الفائدة بأن تزدهر الصناعة المنصورية¹.

ونرى بأن السبب الرئيسي في انتقال الناصر بن علناس من القلعة إلى بجاية هو التخلص من خطر الأعراب الذين هددوا القلعة بالسقوط، فعلم الناصر بنصيحة رسول تميم بن المعز محمد بن البعبع وانتقل إلى بجاية المحصنة طبيعياً من الأخطار الخارجية حيث يحيط بها البحر والجبال من كل الجهات ما عدا الجهة الغربية التي يمكن تحصينها بوضع جميع قوات الجيش لرد العدوان عليها.

العلاقات الخارجية :

لم يكن حكام الدولة الحمادية يشعرون بولاء كبير نحو الفاطميين، بل كانوا يحسون رفقة أبناء عمومتهم الزيريون أنهم وحدهم الحقيقيون بزعامة بلاد المغرب، وقد شهد أول خروج رسمي علي ضد زعامة الخلافة الفاطمية وكان بطل هذا الخروج هو حماد بن بلكين سنة 398هـ/1008م، ولقد حرص الفاطميون على أن تعود بلاد المغرب إلى حظيرتهم فتراهم يسارعون عند أية بادرة إلى بذل الهدايا وتقديم الألقاب وقد حدث ذلك عدة مرات، ففي سنة 532هـ/1137م وصل مركب فاطمي رحل من الإسكندرية ببضائع عظيمة وهدية لصاحب بجاية يحيى بن العزيز².

وعن علاقتهم بأبناء عمومتهم المرابطين فقد كانت سلمية وغير عدائية إلى حد بعيد وعاشت الدولتين الحمادية والمرابطية في أمن وسلام، حيث رضي كلا الطرفين على الحدود التي تملكها دولته، باستثناء محاولة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في بداية حكمه التوسع في المغرب الأوسط للتخلص من قبائل زناتة التي لجأت لهذه البلاد وكانت تهدد الدولة المرابطية، وقد تصدى الحماديون لأطماعه فتراجع الأمير يوسف عن طموحه وشغل

¹ معجم البلدان، مج1، ص 339، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، مج10، ص 46 وما بعدها. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994، ط1، مج30، ص 289. الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 129. الروض المعطار، ص 81. العبر، ج6، ص 174.

² عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 167 وما بعدها.

المرابطون أنفسهم بالجهاد في الأندلس، بينما تفرغ الحماديون لمحاربة الأعراب في بلاد المغرب، وبذلك كان السلم والموادعة هي السمة التي غلبت على العلاقات بين الدولتين¹.

وفيما يخص علاقة الحماديين بالأوروبيين (المسيحيين) فلم تظهر للعيان بشكل واضح إلا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وحتى نهاية الدولة الحمادية، وكانت على العموم طيبة مثالية، عكس علاقتهم بالدولة الزيرية التي كانت علاقة حرب وعداء. وقد أقام الناصر بن علناس علاقات ودية مع البابا جريجوري السابع ومدن الساحل الإيطالي، منحت للرعايا المسيحيين في المغرب الأوسط أمانا كاملا، وحصل الأسى المسيحيين على حريتهم بأن اشتراهم الناصر وأرسلهم هدية للبابا، وقد رد هذا الأخير سنة 469هـ/1076م برسالة شكر وعرفان للناصر، وقد استمرت هذه العلاقات الودية بين الدولتين بعد الناصر².

¹ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 179 وما بعدها.

² إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 176 وما بعدها. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 185 وما بعدها.

الدرس العاشر: المرابطون، الموحدون.

أولاً: دولة المرابطين في المغرب الإسلامي

نشأة الدولة :

ينتسب المرابطون إلى قبيلة صنهاجة الصحراء وقد عرفوا أيضاً باسم الملمثمين لارتدائهم اللثام في وجوههم، وقد قامت دولتهم على أساس دعوة دينية حيث بدأت بالظهور في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد رجال تحذوهم نزعة إصلاحية، أول هؤلاء الرجال يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي أراد إصلاح شؤون قبائل صنهاجة لصحراء التي كان أهلها لا يعرفون من تعاليم الإسلام إلا الشيء القليل، فتجهز لأداء فريضة الحج سنة 427هـ/1036م وفي أثناء عودته منه لقي بالقيروان أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي فلزمه واستمع لدروسه وطلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذا يفقههم في الدين، فعرض الشيخ على تلاميذه الأمر فلم يقبل أحد منهم الذهاب معه لبعده الدار ومشقة السفر والانقطاع عن الأهل في الصحراء، فحملة رسالة إلى تلميذ له في سجلماسة هو وجاج بن زلو اللمطي فانتدب له وجاج تلميذا تقياً من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي فارتحل هذا الأخير مع يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، وشرع في تعليم أهلها تعاليم الدين الإسلامي، وقد أنشأ لهذا الغرض رباطاً في مصب نهر السنغال، وعندما كثرت أتباعه وبلغوا نحو ألف مرید شرع في غزو القبائل التي لم تدعن للإسلام بعد، وقد جعل من يحيى بن إبراهيم الجدالي أميراً على المرابطين، وعندما توفي في حدود سنة 440هـ/1048م خلفه في زعامة المرابطين يحيى بن عمر اللمتوني وعند وفاته سنة 447هـ/1055م خلفه على زعامة المرابطين أخوه أبو بكر عمر اللمتوني الذي توسعت في عهده دولة المرابطين إلى شمال المغرب الأقصى¹.

ولما وقع الخلاف بين قبيلتي لمتونة وجدالسة في الصحراء عاد أبو بكر ابن عمر إلى هناك سنة 453هـ/1061م لمحاولة الإصلاح بينهما²، وقبل عودته جعل ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني خليفة له

¹ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 119 وما بعدها. بن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1418هـ/1998م، ط5، ج4، ص 07 وما بعدها. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص 59 وما بعدها.

² ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 134. ابن خلدون، العبر، ج6 ص 184 (غير أن ابن الخطيب يقول أن ذهاب أبي بكر بن عمر إلى الصحراء حدث سنة 452هـ/1060م، بينما يذكر صاحب الخلل الموسوية وبان عذارى أنه ذهب سنة 463هـ/1070م، وعاد إلى المغرب في العام الموالي حسب هذا الأخير. وأرى أنه من غير الممكن السفر بجيش ضخم إلى الصحراء وفك الخصومات بين قبائل المرابطين في مدة سنة واحدة فقط، كما أن معظم المصادر التاريخية ذكرت بأن يوسف بن تاشفين عندما تركه أبو بكر في المغرب استفحل ملكه وعظم شأنه وكثر جنده، وقام ببناء مراكش وفتح أقطارا

في شمال المغرب، ولما عاد أبو بكر إلى الشمال وجد ابن عمه قد استأثر بالحكم فزهد فيه ورجع من جديد إلى الصحراء، حيث قام بنشر الإسلام في بلاد الزنوج (السودان الغربي) إلى أن استشهد بها في إحدى غزواته بعد أن أصيب بسهم مسموم في شعبان سنة 480هـ/نوفمبر 1087م¹.

وقد قام الأمير يوسف بن تاشفين حينما كان ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر في الصحراء ببناء مدينة مراكش سنة 454هـ/1062م واتخذها عاصمة لدولته الناشئة، وقد عظمت دولة المرابطين في عهده مع مرور الزمن وتمكن يوسف من الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، والجزء الغربي من المغرب الأوسط، وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي وبلاد الأندلس².

نظام الحكم ونهاية الدولة :

حكم يوسف بن تاشفين حوالي نصف قرن من الزمن ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين وأقوى أمراءها على الإطلاق، وقد لقب نفسه بأمير المسلمين وناصر الدين وأعلن الولاء للخلافة العباسية في بغداد³، واتبع المرابطين الحكم الوراثي حيث حكم بعد الأمير يوسف أولاده وأحفاده، وكان مذهب الدولة الرسمي هو المذهب السني المالكي الذي تعصب له المرابطين كثيرا ونبذوا باقي المذاهب⁴.

وبالنسبة لنهاية دولتهم فقد سقطت بصفة كاملة في بلاد المغرب والأندلس عام 541هـ/1147م على يد الموحدون بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي⁵.

كبيرة من شمال المغرب فمن غير المعقول بأن يفعل كل ذلك في مدة عام واحد فقط، لهذا أرجح ما ذكره ابن أبي زرع وابن خلدون). أنظر : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964، ص 232، مجهول : الخلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ط1، ص 24-25، البيان المغرب، ج4، ص 21 وما بعدها.

¹ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 135-136. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 233. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 184 (غير أن عذارى وصاحب الخلل الموشية يقولان أن الأمير أبا بكر توفي سنة 468هـ/1075م، والأرجح ما أثبتناه في المتن). أنظر : البيان المغرب، ج4، ص 26. الخلل الموشية، ص 28.

² ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 136.

³ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج9، ص 99. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 188. الطاهر المعموري، الغزالي وعلماء المغرب، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 09.

⁴ علي محمد الصلاحي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، القسم الأول دولة المرابطين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ط3، ص 234.

⁵ الخلل الموشية، ص 137 وما بعدها.

العلاقات الخارجية :

كانت علاقة المرابطين بالعباسيين في بغداد علاقة ولاء وتبعية، حيث انضمت دولة المرابطين إلى الخلافة العباسية منذ عهد الأمير أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين وقد أرسل الخليفة العباسي لهذا الأخير تقليدا واعترف بشرعية حكمه، فتلقب بلقب أمير المسلمين وناصر الدين وقد وضع المرابطون أسماء الخلفاء العباسيين في السكة، ودعوا لهم في المنابر، وبقيت العلاقات ودية حتى انقراض دولة المرابطين¹.

وعن علاقة دولة المرابطين بالممالك النصرانية في الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحرب شديد مع جميع هذه الممالك قطلونية والبرتغال وخاصة ملكتي قشتالة وأراغون اللتين دخلنا مع المرابطين في معارك وحروب كثيرة. وبدأ هذا العداء لما عبر المرابطون إلى الأندلس لنجدة دويلات الطوائف من الزحف الصليبي على أراضيهم، وانتصارهم المدوي على ملك قشتالة ألفنسو السادس في معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479هـ/1086م بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، وقد استمرت علاقة العداء والحروب بينهما في عهد الأمير يوسف وولده علي، حيث قاد العديد من المعارك لرد عدوان النصارى على بلاد المسلمين وكان النصر تارة للمرابطين وتارة أخرى للممالك النصرانية².

أما علاقتهم بالموحدين فقد كانت علاقة حرب وعداء أيضا، فمنذ ظهور ابن تومرت على مسرح الأحداث في مطلع القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والموحدين يحاربون المرابطين بالنشاط الدعوي والسلاح وخاضوا معهم معارك عديدة في المغرب والأندلس إلى أن تم القضاء على دولتهم بصفة نهائية بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي وهذا في سنة 541هـ/1147م³.

¹ حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008، ص 235 وما بعدها.

² حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 153 وما بعدها.

³ الحلل الموشية، ص 137 وما بعدها.

ثانيا: دولة الموحدين في المغرب الإسلامي

تأسيس الدولة :

ينتسب محمد بن عبد الله المعروف بابن تومرت المؤسس الفقهي للدولة الموحدية إلى قبيلة هزغة البربرية وهي إحدى بطون قبيلة مسمودة الكبيرة، ولد في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ادعى النسب على آل البيت عن طريق الأدارسة (بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ولقب نفسه بالمهدي والإمام المعصوم ولكن المؤرخون والمحققون كشفوا كذب ادعاءاته، كان رجلا فقيرا اهتم بالعلم وتحصيله فارتحل سنة 500هـ/1106م إلى بلاد الأندلس ثم إلى بلاد المشرق الإسلامي ودرس عند أكبر العلماء هناك، عاد إلى بلاد المغرب والتقى عبد المؤمن بن علي الكومي في قرية تاماللت (ملالة) في بجاية سنة 505هـ/1111م فقربه إليه كثيرا وجعله أكبر تلاميذه، وعاد معه إلى مراكش وشرع في تنظيم دعوته حيث استقر في منطقة تينملل بالمغرب الأقصى وأظهر العداء الشديد لدولة المرابطين، وبنا رباطا وكون جماعة سماها الموحدون، وأقام تنظيمه على أساس هرمي قمته ابن تومرت المدعى للعصمة والمهداوية، ثم تأتي جماعة أصحاب العشرة وهم أصحابه المقربين مثل عبد المؤمن بن علي الكومي، البشير الونشريسي، وأبو حفص عمر الهنتاني وغيرهم، ثم تأتي جماعة الخمسين وتضم رؤساء القبائل وشيوخها الكبار وفي قاعدة الهرم تأتي جماعة السبعين. وبدأ ابن تومرت نشاطه الدعوي في منطقة السوس حيث قام بنشر نفوذه في المنطقة، وتسلب على الناس بأعمال قبيحة وملفقة وهيمن على فكرهم ومشاعرهم حتى استعبدتهم، وشرع بعد ذلك في حرب المرابطين حيث خاض عدة معارك معهم أخطرها معركة البحيرة سنة 524هـ/1130م حيث زحف ابن تومرت وأتباعه على مراكش وفرض عليها الحصار أربعين يوما ولكنه تعرض للهزيمة في آخر المطاف وقتل بعض قادته الكبار وجرح هو جروحا بليغة توفي متأثرا بها بعدها بأيام، وقد نجا في المعركة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي بايعه الموحدون سرا سنة 524هـ/1130م وعلنا في سنة 526هـ/1132م¹.

استمر عبد المؤمن في حرب المرابطين واستولى على مناطق كثيرة بالمغرب الأقصى وفرض الحصار على مراكش عدة شهور وفتحها سنة 541هـ/1147م قتل آخر أمراء المرابطين إبراهيم بن تاشفين ووضع حدا نهائيا

¹ البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ط2، ص 11 وما بعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 172 وما بعدها. عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت - حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثره بالمغرب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ط1، ص 23 وما بعدها.

لدولة المرابطين بالمغرب¹. وتمكن من القضاء على الدولة الحمادية في المغرب الأوسط والتي استولى على عاصمتها بجاية بعد عدة معارك سنة 547هـ/1152م²، كما قضى على النورمان واستولى على ممتلكات الدولة الزييرية في المغرب الأدنى وعاصمتهم المدية سنة 555هـ/1160م³ وبذلك يستولي الموحدون على كافة بلاد المغرب الإسلامي وتمكنوا أيضا من الاستيلاء على مدن الأندلس تباعا والقضاء على دولة المرابطين والمرء المتغلبين على بعض المدن بها ابتداء من سنة 541هـ/1147م⁴.

نظام الحكم والمذهب المتبع :

اتبع الموحدون النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وبالنسبة لمذهبهم فقد كان خليط من المذاهب فقد أخذوا بعض عقائد المعتزلة، وأخذوا من المذهب الأشعري في مجال الصفات، وأخذوا أيضا من المذهب الشيعي إدعاء العصمة والمهداوية والإمامة، استخدموا السلاح للوصول إلى الحكم على طريقة الخوارج، ومنعوا القياس والاجتهاد وباقي أصول الفقه واكتفوا بالقرآن والسنة وإجماع الصحابة⁵.

النظام الإداري :

الوزارة :

كان على قمة الإدارة المركزية وزير هو حلقة الوصل بين الخليفة ومختلف نظم الدولة التي تكونت من دواوين الكتابة والعسكرية والمالية. ولم يذكر الرواة أن ابن تومرت اتخذ وزيرا وإنما كان يختص "العشرة أهل الجماعة" بالمشورة في الأمور العظام. وقد بدأت مؤسسة الوزارة تتخذ مكانها بين نظم الدولة في خلافة عبد المؤمن، ولكن المعلومات عن أوليتها مضطرة ومتناقضة، ويذكر بعض المؤرخين أن عبد المؤمن اتخذ وزيرا قبل فتح مدينة مراكش، وأغلب الظن أن أول وزير كان أبي جعفر أحمد بن عطية الذي استكتب أواخر عام 542هـ أو أوائل 543هـ/1148م. ومن الثابت أن الخلفاء في دور الازدهار لم يتخذوا غير وزير واحد في وقت واحد، أما في دور الانحلال فقد اتخذ بحي المعتصم والسعيد وزيرين، ولا يعرف الحال مع المأمون والمرتضى والواثق. ويبدو أن اضطراب المعلومات عن

¹ الحلل الموشية، ص 137 وما بعدها.

² ابن الأثير، المصدر السابق، مج 9، ص 372-373.

³ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 146.

⁴ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج 2، ص 199. ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ط 2، ج 5، ص 34-35. ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 312.

⁵ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 131 وما بعدها.

الوزارة في دور الانحلال يعود إلى أن المنتفذين كانوا غير واحد. كان الخليفة يختار وزيره إلا أن موافقة أشياخ الموحدين كانت ضرورية إذ أن الوزير كن ينقل الخليفة إلى الأشياخ وعليه فلا بد من ثقتهم فيمن يتقلده وعزل عبد المؤمن وزيره عبد السلام الكومي وولى ابنه السيد أبا حفص الوزارة بري أشياخ الموحدين¹.

الكتابة :

أولى الموحدون منذ بداية دعوتهم أهمية للرسائل وكتابها، وعلى الرغم من أن ابن تومرت كان يكتب رسائله بنفسه في بعض الأحيان فقد خصص أحد "العشرة أهل الجماعة" لكتابة الرسائل وهو أبو الربيع سليمان الحضرمي الذي توفي في معركة البحرية. وكان يساعد أبا الربيع في الكتابة ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي وهو ممن آخى المهدي بينه وبين هرغة، ويوصف بالفصاحة والبداهة والعلم بالألسن وقد أقام بتنمّل حتى توفي. أما الخليفة عبد المؤمن فلا يعلم أنه استكتب ملولا هذا، كما لا يعلم أنه اتخذ كاتباً قبل الاستيلاء على مراكش، ويبدو أنه كان يبحث على كتاب لهم خبرة ودراية بالأعمال الإدارية فلما انتصر عمر الهنتاني على الماسي في أواخر سنة 542هـ/1148م وبحث عمن يكتب له إلى الخليفة ودل على أبي جعفر أحمد بن عطية فكتب رسالة بليغة ما أن وقعت في يد عبد المؤمن حتى استقدمه فاستكتبه ثم استوزره وجمع له الكتابة والوزارة. ولقد كتب لعبد المؤمن عدة كتاب في وقت واحد فقد صحبه في إحدى غزواته ثلاث كتاب للرسائل. وكان أبو بكر محمد المرخي كاتباً مع أبيه أبي الحكم المرخي ليوسف بن عبد المؤمن. لقد كان الكاتب الموحدي يقوم بكتابة نص البيعة للخليفة الجديد، وخلال البيعة العامة يقرأ الكاتب ذلك النص لكل مجموعة من المبايعين فيبايعوا على مقتضاه. ويكتب الكاتب الرسائل الرسمية والظواهر، ولم يكن الكاتب مطلق التصرف ولا بد من أن يطلع الخليفة على ما يكتب ولا تنفذ الرسالة إلا إذا وضع الخليفة عليها علامته بخط يده وهي "الحمد لله وحده". وحتى في حالة الخلفاء الضعفاء لم يجد الكاتب فرصة للتنفيذ والتسلط فقد كان يضع العلامة الغالبون على الخلفاء. وهذا لا يعني أن خطة الكتابة كانت حقيرة أو قليلة الأهمية فقد لعبت الرسائل دوراً كبيراً عند الموحدين وكانت الرسائل وسيلة الدعاية الأساسية لعمال الدولة. وجل الرسائل التي وصلت كانت من هذا الضرب الدعائي، وقد حرص الخلفاء على تعميمها على جميع بلاد الموحدين. وكان كاتب الرسائل بطبيعة عمله وثيق الصلة بالخليفة ومقرباً منه مكرماً لديه، وكان منصب كاتب الرسائل مرغوباً فيه، ومن نقل من الكتابة إلى القضاء كان يندم على ما فاته ويندب حظه².

¹ عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ط1، ص 153 وما بعدها.

² عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 160 وما بعدها.

البريد :

كان حامل البريد يسمى "رقاصا" وكان الرقاص يكلف يحمل جميع أنواع الرسائل مدنية أو عسكرية. وقد نظم البريد منذ فتح مراكش على أسس معلومة فتكفلت الدولة بالدواب وعلفها وزاد الرقاصين لكيلا يكلف الرقاصون الناس مؤونة ذلك، وحددت المنازل التي ينزلونها والزمن الذي يستغرقونه في رحلاتهم، فكان الرقاص يسري الليل ويسير النهار، وكان البريد يقطع المسافة من المهديّة إلى غرناطة في أربعين يوما، ومن مرسية إلى مراكش في ستة عشر يوما "وهذا غاية السير". ومع هذا التنظيم المتقن لأعمال البريد لا يعلم أن خليفة قد عين صاحبا للبريد، وربما كاتب الرسائل هو من كان يشرف على عمل البريد¹.

الإدارة المالية :

كان الوزير مسؤولا عن مالية الدولة في خلافة عبد المؤمن ويوسف ولا يعلف أن أحدا قد استقل بالإدارة المالية في الحضرة غير الوزير في عهد هذين الخليفين، وفي عهد المنصور اتخذ صاحبا لأشغاله، ولا يعلم خليفة لم يتخذ صاحبا لأشغاله بعده، ولفظة صاحب الأشغال مصطلح موحد لم يستعمل في نظم الدول التي سبقت الموحدين في المشرق أو المغرب أو الأندلس. ولا يطلق هذا المصطلح في أيام الموحدين إلا على الأعمال المالية في الحضرة. ولم يتولها غير شخص واحد في الوقت ذاته، ولا يكون متولى هذه الخطة إلا من أشياخ الموحدين، ولا يكون تعيينه إلا من قبل الخليفة، ولا يذكر أن أحدا عينه شخص آخر إلا ابن وابن الخير الذي قلده الأشغال المخزنية الوزير أبو زكريا بن الغمر وزير الرشيد. وكان صاحب الأشغال يشرف على استخراج الأموال وجمعها وضبطها وصرفها، كان مسؤولا عن الأعمال المالية في الولايات ومحاسبة المال بأمر من الخليفة، ولصاحب الأشغال كتاب يقيدون المحابي ويضبطونها بالشهود ثم يرفعها إلى الخليفة في خرائط فيحتمها بخاتمته، وتدفع الأموال إلى أمين المخزن لحفظها. ويبدو أن من تولوا هذه الخطة كانوا في غاية الأمانة الضبط، ومن أهل ثقة الخليفة الذي أقره أو عينه، فلم يذكر أن أحدا من أصحاب الأشغال قد نكب سوى مرة واحدة².

نهاية الدولة :

بلغت الدولة الموحدية أوج عظمتها وقوتها في عهد الخليفة عبد المؤمن وولده يوسف وحفيده يعقوب المنصور، ومن صور قوتها مقارعتهم للنصارى الصليبيين في الأندلس، حيث قادوا معارك عديدة ضدهم وحققوا في

¹ عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 166.

² عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 168-169.

أغلبها انتصارات مدوية مثل معركة الأرك سنة 591هـ/1195م بقيادة الخليفة يعقوب المنصور¹ وغيرها، وتعرض الموحدون إلى بعض الهزائم القاسية من طرف النصارى منها على الخصوص معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م والتي كانت سببا في تراجع دولة الموحدين وبداية النهاية في الأندلس والمغرب، حيث لم تقم لها قائمة بعدها واستمرت في الضعف الشديد إلى أن سقطت نهائيا بسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرينيين سنة 668هـ/1269م. وقد انقسم المغرب على إثر ذلك إلى ثلاث دول هي الحفصية في المغرب الأدنى والزيرية في المغرب الأوسط والمرينية في المغرب الأقصى، واستولى بني نصر (بني الأحمر) على الأندلس².

العلاقات الخارجية :

أشرنا في المحاضرة السابقة بأن علاقة المرابطين بالموحدين كانت علاقة حرب وعداء، ونفس العلاقة ربطت الموحدين بالزيريين في إفريقية والحمايين في المغرب الأوسط، فقد مر ابن تومرت المؤسس الفقهي للدولة الموحدية في حدود سنة 505هـ/1111م على مدينة بجاية الحمادية. وأظهر سخطه من الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية السائدة آنذاك. وتحلى العداء الشديد بين الموحدين والدولتين الزيرية والحمادية في كون الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي هم من أسقطا هاتين الدولتين فقد سقطت الدولة الحمادية في أيديهم سنة 547هـ/1152م، والدولة الزيرية سنة 555هـ/1160م³.

وفيما يخص علاقة الموحدين بالممالك النصرانية في شمال الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحروب مع جميع المسالك النصرانية قشتالة وأراغون وليون والبرتغال وغيرها، وقد بدأ هذا العداء منذ استيلاء الموحدين على الأندلس في حدود سنة 541هـ/1147م، وحدثت بينهما معارك وحروب طاحنة كان فيها الانتصار للموحدين أحيانا وللممالك النصرانية أحيانا أخرى، مثل غزوة شنترين سنة 580هـ/1184م والذي استشهد فيها الخليفة الموحي يوسف بن عبد المؤمن، ومعركة الأرك الشهيرة سنة 591هـ/1195م بقيادة يعقوب المنصور. ونشير إلى أنه تخللت علاقة العداء علاقة السلم والموادعة في بعض الأحيان والظروف بين الممالك النصرانية والموحدين، فلما اشتدت غزوات الموحدين على الممالك النصرانية وحقت انتصارات عديدة عليهم، سارع ملوكها وأمرائها لطلب الهدنة من الموحدين وقد حلت البعثات بإشبيلية في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/جويلية 1173م على الخليفة

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 220 وما بعدها. الساوي، المرجع السابق، ج2، ص 165 وما بعدها.

² محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني 610هـ-1213م/869هـ-1465م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ط2، ص 31 وما بعدها.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، مج9، ص 372-373. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 146.

يوسف بن عبد المؤمن من قبل حاكم طليطلة الكون نونيو ودي لاراء وألفونسو الثامن ملك قشتالة، وملك البرتغال ألفونسو هنريكيز لطلب الهدنة، وبعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين تكللت بقبول الخليفة توقيع الهدنة مع هؤلاء الملوك¹. كما سارع المغامر ورئيس العصاة التي عاثت في غرب الأندلس فسادا واستولت على مدن المسلمين وممتلكاتهم "جيرالدو سمبافور" إلى طلب الهدنة مع الموحدين أيضا لأنه شعر بأنه فقد مكانته وأغلقت في وجهه فرص المغامرة وأن الموحدين سوف يتفرغون لقتاله، فسار في صحبة رجاله الثلاثمائة والخمسين إلى إشبيلية سنة 569هـ/1174م والتمس قبوله عبدا وخداما للخليفة يوسف لكي يضمن قوت يومه فقبل الخليفة التماسه وأحسن إليه وأكرمه².

¹ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق عبد الهادي النازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ط2، ص 436-437. ميراندا أمبروسيو هويشي، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكميز، ط2، منشورات الزمن، المغرب، 2015، ص 262.

² البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، ص 132. ابن عذارى، البيان المغرب، ج5، ص 130. ميراندا، المرجع السابق، ص 262. عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس-عصر الموحدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002، ج5، ص 90.

الدرس الحادي عشر: دول ما بعد الموحدين

أولاً: الدولة الحفصية في المغرب الأدني

تأسيس الدولة :

الحفصيون ينتمون إلى قبيلة هنتانة إحدى فروع قبيلة مصمودة البربرية، أسس الإمارة الحفصية في المغرب الأدني "أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني" أحد رجال ابن تومرت العشرة الذين تم اختيارهم لرئاسة هذه الإمارة التي بدأت بالظهور في الوقت الذي أخ نجم الموحدين في الأقول. وكانت هذه الإمارة تابعة للدولة الموحدية ثم أعلن أبو زكريا يحيى الأول الانفصال عن الموحدين لما شعر بضعف دولتهم، فاستند بأعمال تونس والقيروان منذ عام 627هـ/1230م ولم يقنع بنفوذه في المغرب الأدني فرحف على المغرب الأوسط عام 628هـ/1231م واستولى على قسنطينة وبجاية، كما استولى أيضا على الجزائر والشلف عام 636هـ/1238م واستسلمت له تلمسان 640هـ/1242م وفر منها حاكمها الزياني ياغمراسن، ومن بعد أبي زكريا سيطر الحفصيون على إمارة مليانة عام 659هـ/1261م وبدأت بذلك سيطرته على معظم المغربين الأدني والأوسط، وعلا شأنهم وجاءتهم البيعة من كل جهة داخل إفريقيا وفي بعض أقاليم الأندلس مثل إمارة إشبيلية، ومن مكة نفسها بالأراضي المقدسة عام 657هـ/1259م حتى أمراء بني مرين في مراكش بايعوهم لمدة قليلة ثم نقضوها¹.

نظام الحكم وسقوط الدولة :

اتخذ الحفصيون من النظام الوراثي قاعدة للحكم حيث اقتصر الحمل على نسل أبو زكريا يحيى الأول دون غيره، وكان المذهب السني المالكي هو المذهب الرسمي للدولة. وعمرت دولتهم التي اتخذت من تونس عاصمة لها حوالي ثلاثة قرون ونصف القرن إلى أن سقطت في يد الأتراك العثمانيين سنة 981هـ/1573م وكان مجال حكمهم المغرب الأدني والجزء الشرقي من المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) حيث وصل نفوذه إلى غاية مدينة بجاية التي تعتبر الحد الفاصل بينها وبين الدولة الزيانية².

¹ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ط2، ص 23 وما بعدها. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 229 وما بعدها. يحيى بوعزيز، مرجع السابق، ج1، ص 201.

² يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 203.

العلاقات الخارجية :

تراوحت علاقة الحفصيين بالزيانيين بين التبعية والاستقلال وبين السلم والحرب، ففي عهد الأمير الحفصي أو زكريا يحي الأول قام بنو زيان بمبايعته والدعوة له على منابريهم، ورغم الوحشة التي حصلت عندما حاول الأمير الزياني عثمان بن يغمراسن غزو بجاية إلا أنه سرعان ما عادت المياه إلى مجاريها، واستمر بنو زيان في تبعيتهم للحفصيين، وقد تدخل أمير بجاية الحفصي لمساعدة الزيانيين عندما غزا السلطان المريني يوسف بن يعقوب تلمسان عام 698هـ/1299م وخاض معه جبل الزاب أوقعت بها هزيمة كبيرة في معركة مرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط خلالها من رؤوس العباد. ولما حاول سلطان تونس أبو عصيدة بن الواصل عقد اتفاق مع السلطان المريني لإسقاط عرش تلمسان، رد على ذلك الأمير عثمان بن يغمراسن بإسقاط الدعوة الحفصية من منابر تلمسان وقطع جبل التبعية بهم وبذلك يبدأ دور الاستقلال عن الحفصيين والخضوع للمرينيين، وحينما بدأت مرحلة ضعف الدولتين الزيانية والمرينية عاد الحفصيون للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية ومحاوله السيطرة عليها وضمها إلى دولتهم، وقد نظم الحفصيون حملة بجيش ضخم من خمسين ألف محارب تمكن خلالها من احتلال تلمسان عام 827هـ/1424م وعزل أميرها أبو مالك الزياني، وبعد مجدة أعاده للحكم من جديد، وبقيت العلاقة متوترة بين الدولتين حيث استغل الحفصيون تناحر أمراء بني زيان وضعف دولتهم للتدخل في شؤونها¹.

مرت علاقة الحفصيين بالمرينيين بثلاثة مراحل أساسية وهي مرحلة تبعية المرينيين الاسمية تبني حفص، وكان الغرض من إعلان التبعية هو إضفاء لون من ألوان الشرعية على حركتهم واتجاههم لتصفية الموحدون بدون تدخل للحفصيين. كما حرصوا على إرضاء العامة في المغرب الأقصى وجذبهم لصفوفهم، تاليه المرحلة الثانية وهي مرحلة السيطرة المرينية على الحفصيين وتمت بعد مساعدة المرينيين للحفصيين في مقارعة الزيانيين وكذلك علاقة المصاهرة التي حدثت بين الدولتين حيث اضطر الحفصيين لمصاهرة أبي الحسن المريني للمرة الثانية، وتجلت بوضوح هذه السيطرة المرينية أثناء الاحتلال المريني لمعظم بلاد إفريقية خلال عهد السلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان، فتحوّلت العلاقات من الود والإخاء إلى علاقات عدائية، وتأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة عودة العلاقات الودية بين الدولتين والتي بدأت بعد حدوث الاضطراب في البيت المريني وظهور الصراع على العرش عبد وفاة السلطان أبي عنان سنة 759هـ/1375م واستمرت علاقة الود حتى نهاية الدولة المرينية في بلاد المغرب².

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 223 وما بعدها.

² محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 211 وما بعدها.

تراوحت علاقة الحفصيين بالدول الأوروبية بين السلم والعداء. ولقد كان لاتساع نفوذ الحفصيين داخل إفريقيا وخارجها أثر كبير في فتح الطريق لربط العلاقات الطيبة بينهم وبين عدد من دول وممالك أوروبا مثل صقلية والإمبراطورية الألمانية، وقدموا للمسلمين في الأندلس مساعدات كثيرة في مختلف المناسبات. وبالنسبة لعلاقة العداء فقد تجل خصوصا في مقاومة الحفصيين لحملة الصليبية الثامنة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع عام 669هـ/1270م والذي انهزم في معركة المنصورة في مصر فحاول أن يغسل عارها في ميدان آخر ولم يجد أصح من بلاد المغرب ولكنه في هذه المرة كلفة أهلها حياته كلها وهزيمة لقوته الصليبية. كما قام الحفصيون أيضا بفضل أساطيلهم الضخمة في تونس وبجاية وغيرها برد العدوان الأوروبي واقتحام مراكز القراصنة في موانئ أوروبا نفسها كإسبانيا والبندقية وحينوة وصقلية¹.

¹ رويار برنشفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط1، ج1، ص 56 وما بعدها. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 202.

ثانيا : الدولة الزيانية في المغرب الأوسط

قيام الدولة :

ينتسب بني عبد الواد الزيانيون¹ إلى قبيلة زناتة البربرية التي استقرت منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية من المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) وقد بدأ بني عبد الواد في البروز في مسرح الأحداث التاريخية في بلاد المغرب في سنة 627هـ/1230م حينما بدأ نجم الدولة الموحدية في الانهيار، حيث ظهر جابر بن يوسف بن محمد "كزعيم لبني عبد الواد وقام بالتصدي ليحيى بن غانية الميورقي حينما هاجم مدينة تلمسان وانتصر عليه وشتت شمله، فعجب به الخليفة الموحد المأمون وكتب له البيعة على تلمسان وسائل قبائل زناتة تكريما له، فاضطلع بالأمر وكان ذلك بداية لقيام دولة بني عبد الواد التي تسلم قيادتها الأمير الشاب بغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1236م بعهد من الخليفة الموحد الرشيد، وقد تميز بغمراسن بقوة العزيمة وحصافة الرأي وسداد التدبير، فاضطلع بالأمر في عزم وقوة وأخضع إلى سلطته كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه أبي عزه زكار بن زيان وأحسن السيرة في الناس تديرا وسياسة، واعتنى بتنظيم قواته العسكرية وتوفير الأسلحة والذخيرة لها حتى تستطيع القيام بواجبها الدفاعي على البلاد. واستحدث مجلسا وزاريا وكتبة ليساعده على تسيير شؤون الإمارة، واتخذ لنفسه مظاهر الملك وألغى سيطرة الموحدين الفعلية ولم يبق لهم سوى عادة الدعوة للخليفة على المنابر أيام الجمع والأعياد².

نظام الحكم وسقوط الدولة :

عمرت الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون، وحكمت الجزء الغربي من المغرب الأوسط واتخذت من تلمسان عاصمة لها، واتبعت النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل بغمراسن بن زيان. وكانت حياتها كلها صراعا مستميتا وطويلا ضد قوى متصارعة متطاحنة عليها، فالدولة المرينية من الغرب والدولة الحفصية من الشرق تسعيان لمحاولة السيطرة عليها وإزالتها من الوجود، وفي أواخر عمرها تعرضت للعدوان الإسباني على سواحلها، ثم تدخل الأتراك العثمانيين في النهاية الذين عزلوا آخر أمراءها عن الحكم "الحسن بن عبد الله الزياني" وبذلك تندثر دولة بني عبد الواد من الوجود سنة 961هـ/1554م³.

¹ كانت هذه الدولة في بداية عهدها يطلق عليها اسم دولة بني عبد الواد، ثم لما تولى أمرها السلطان أبو حمو موسى الأخير عام 760هـ/1359م وأحيائها بعد اندثارها وأطلق عليها اسم الدولة الزيانية. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 220.

² بسام كامل عبدا الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 53. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 220 وما بعدها.

³ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 220.

العلاقات الخارجية :

كانت العلاقة بين الزيانيين والمرينيين في المغرب الأوسط عدائية، لم تشهد طيلة قيام الدولة المرينية في بلاد المغرب سوى فترات قليلة جدا من السلام، وفي أغلب الأحوال كان ذلك السلام مفروضا على بني زيان فإن ما ورثتهم الفرصة لنقضه سارعوا إلى ذلك وعادوا بالعلاقات إلى جو العداء، وقد بدأ العداء قبل قيام الدولة المرينية سنة 668هـ/1269م إثر تحالف الزيانيين مع الموحيدين ضد المرينيين. واستفحل الصراع بين الدولتين سنة 669هـ/1270م عندما حاصر المرينيون تلمسان وألحقوا أضرارا بالغة بنواحيها، ثم عادت الدولتين للصلح ولكن سرعان ما تم نقضه لما تحالف الزيانيون مع بني الأحمر في الأندلس ضد المرينيين. كما تفاقم العداء أكثر فأكثر بين الدولتين في سنة 737هـ/1336م حينما قام السلطان أبو الحسن المريني بغزو شامل للمغرب الأوسط وتمن من احتلال تلمسان وقتل السلطان أبي تاشفين وتلاشت دولتهم وأصبح المغرب الأوسط إقليما من أقاليم الدولة المرينية، ثم أعاد الزيانيون إحياء دولتهم سنة 749هـ/1348م باستيلائهم على تلمسان بعد مبايعتهم لعثمان بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن، واستمر بعد ذلك الوضع على حاله حيث استمر العداء بين الدولتين ولكن تتخلله فترات من السلم والموادة، وبعد وفاة السلطان المريني أبي عنان ظل الزيانيون على أعدائهم لبني مرين حتى سقوط الدولة الزيانية¹.

أما علاقة الزيانيين ببني نصر في الأندلس فقد كانت علاقة حسنة، وتوثقت العلاقة بينهما في جميع المجالات من سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ففي الجانب السياسي شهدت العلاقة جوانب متعددة منها لجوء الدولة الزيانية إلى إبعاد المعارضين لها إلى الأندلس، ودعم بنو الأحمر للسلطان أبا حمو موسى الثاني سياسيا وعسكريا، وبالمقابل دعم الزيانيون أيضا بني الأحمر في حروبهم ضد النصاري الصليبيين وكانت المساعدة على شكل أحمال من الذهب والفضة والخيل المسمومة والمراكب المشحونة بالزرع، كما سمحت للأفراد على شكل جماعات الذهاب إلى الأندلس بدافع الجهاد في سبيل الله، وتوثقت أيضا العلاقة بتبادل الهدايا والتهادي بين زعماء الدولتين، وباستقبال الدولة الزيانية سكان الأندلس المهاجرين في مدن وسواحل المغرب الأوسط، منهم من اشتغل مناسب مهمة في الدولة كالوزارة والحجابه وخاصة في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول، ومنهم العلماء الذين تولوا مهام التدريس في مساجد ومدارس تلمسان وغيرها من المدن الزيانية، وتوثقت أيضا العلاقة الاقتصادية بين الدولتين فكانت الدولة الزيانية تمد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرضهم لبلاء أو مجاعة

¹ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 216 وما بعدها.

وتمددهم بالمال والغذاء، ففي سنة 763هـ/1362م قدمت الدولة الزيانية لأهل من الأندلس ما مقداره خمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب¹.

أما علاقة الزيانيين بدولة المماليك في مصر فقد كانت طيبة، فلم يمنع البعد الجغرافي بين مصر وتلمسان من قيام علاقات تنوعت بين الجانب السياسي والثقافي والاقتصادي ورابطة الحج على اعتبار أن مصر تقع على طريق حج المغاربة، وقد تبادل السلاطين الزيانيون والمماليك الرسائل والهدايا، فقد تبادل السلطان الزياني أبو تاشفين عبد الرحمان الأول الرسائل مع السلطان المملوكي الناصر سنة 725هـ/1325م، وبعث السلطان أبو زيان سنة 799هـ/1397م إلى السلطان المملوكي برقوق ثلاثون رأس من الخيول العتاق، وذلك لما تمتاز به من الشدة والسرعة الصبر على المصاعب. كما قصد طلبة العلم التلمسانيين القاهرة لزيادة معارفهم العلمية، وهناك من عاد إلى وطنه وهناك من بقي في مصر للتدريس، حتى أن بعضهم تقلد مناصب في الدولة المملوكية. وفي الجانب الاقتصادي تبادلت الدولتين السلع عن طريق موانئ هنين شرشال والجزائر وموانئ مصر وخاصة الإسكندرية².

¹ بسام كامل عبد الرزاق شقدان المرجع السابق، ص 120 وما بعدها.

² بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 124-125.

ثالثا : دولة بني مرين في المغرب الأقصى

نشأة الدولة :

بنو مرين يعودون بأصلهم إلى قبيلة زناتة البربرية وكانوا يسكنون المنطقة الجنوبية من تلمسان، وقد وقف بنو مرين إلى جانب الموحدين في بداية الأمر وحكموا باسمهم ثم لما ضعف أمر الإمارة الموحدية انتفضوا عليها، وأثاروا عدة فتن وحروب وشنوا عددا من الغارات على أطرافها، واقتحموا تلال مراكش عام 610هـ/1213م وانتشر نفوذهم بفضل الأمير أبي يحيى بن عبد الحق الذي احتل مدينتي فاس ومكناس واتخذهما مركزا لنشاطهم حتى تمكن أميرهم أبو يوسف بن عبد الحق من احتلال مراكش عام 668هـ/1269م فانهى بذلك عهد الموحدين وبرزت إمارة بني مرين وتلقب يوسف بأمير المؤمنين¹.

نظم الحكم وسقوط الدولة :

اتخذ المرينيون من فاس عاصمة لدولتهم، واتبعوا كغيرهم من حكام بلاد المغرب النظام الوراثي، إذ كان يشترط في السلطان أن يكون منتميا إلى البيت المريني الحاكم، وكثيرا ما كان السلطان الجديد ابنا أو حفيدا أو أخا للسلطان المتوفي، واستعاد المذهب السني المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين، وكان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب. وكان مجال دولتهم الجغرافي يشمل كامل بلاد المغرب الأقصى واتسع أحيانا وشمل أجزاء من بلاد المغرب الأوسط، وتقلص أحيانا أخرى إثر الحروب بينهم وبين جيرانهم الزيانيين والحفصيين، وقد عمرت الدولة المرينية زهاء مائتي عام إلى أن سقطت على يد الوطاسيين سنة 869هـ/1465م².

العلاقات الخارجية :

يمكن وصف العلاقات بين المرينيين وبني الأحمر بأنها كانت علاقات يشوبها الحذر والترقيب ومرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بني الأحمر كثيرا في نوايا بني مرين وتطلعاتهم في بلاد الأندلس ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل أو العداة والنفرة في بعض الأحيان. وقد ساعد المرينيون بنو الأحمر في

¹ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 206.

² محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 181 وما بعدها.

الأندلس لصد النصارى خلال احتياجهم لأراضي المسلمين الباقية في الأندلس مرات عديدة، ولكن حدثت خلافات بين الدولتين، لأن بني الأحمر بقوا دائما يتوجسون خيفة من أطماع بني مرين في الأندلس¹.

وبالنسبة لعلاقة المرينيين بالممالك النصرانية قشتالة وأراغون في شمال الأندلس فقد كانت عدائية، وهذا العداء نابع من أن المرينيين وبني الأحمر تزعما حركة المقاومة ضد حركة الاسترداد المسيحي بعد سقوط الموحديين. وقد خاض المرينيون العديد من المعارك ضد مملكتي قشتالة وأراغون استنفذوا خلالها الكثير من طاقتهم العسكرية، ولكنهم استفادوا كثيرا خصوصا من الغنائم التي دعمت ثروة دولتهم، علاوة على ذلك أكسبتهم حركة المقاومة هذه مكانة مرموقة في بلاد المغرب وسائر العالم الإسلامي، وكثيرا ما تخلل ذلك العداء بين المرينيين والممالك النصرانية في الأندلس فترات من السلم حكمتها معاهدات أبرمت بين الطرفين وفي كثير من الأحيان كان بنو الأحمر يمثلون طرفا ثالثا في هذه المعاهدات والتي كان بعضها تنص على حرية التحول والمتاجرة بأرض الفريق الآخر².

¹ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 227 وما بعدها.

² محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 238 وما بعدها.

الدرس الثاني عشر: الأبعاد الحضارية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب

مقدمة: كانت بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي خاضعة لقوى أجنبية متتالية كالفينيقين والرومان والبيزنطيين ولم يكن للبربر والأفارقة دور هام في الحضارة المغربية بل كانوا مستغلين من طرف الغزاة عن طريق الجباية والتجنيد والعبودية والسبي... فعلى مر العصور لم يدخل البربر التاريخ البشري ولم تكن مساهمتهم في الحضارة الإنسانية هامة إلى حين دخولهم الإسلام. ومثل فتح بلاد المغرب منعرجا حاسما في تاريخ المنطقة حيث اندمجت العناصر المحلية في المجتمع الجديد ليحصل التلاقح الثقافي بين المسلمين والبربر ومهد لنشأة حضارة مضيئة في تاريخ الإنسانية لا تزال معالمها قائمة إلى يومنا هذا، فما هي الأبعاد الحضارية للفتح الإسلامي؟ وما هي إضافات البربر للحضارة الإسلامية؟ وما هي آثار الفتح على المغرب؟

أولا: الأبعاد الحضارية للفتح الإسلامي

تعددت مظاهر الازدهار الحضاري لبلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي ومن بينها اندماج البربر في الحضارة العربية الإسلامية المتواصل إلى زمننا الحاضر وإثراء الحضارة الإنسانية بعدد هام من العلماء والمفكرين والمبدعين فضلا عن تطور الفنون كالعمارة والزخرفة...

1 - اندماج البربر في الحضارة الإسلامية: واجهت الجيوش الإسلامية في بلاد المغرب قبائل بربرية تجيد فن القتال ومتمرسة في الحروب إلى جانب الجيش النظامي البيزنطي. وكانت تلك القبائل متحررة في أغلب الحالات من ولاءات أو أحلاف تجمع بينها وبقية القبائل في ما عدى المصالح المشتركة بحيث لم تكن توجد مظاهر وحدة تجمع بينها وتجعلها تتضامن وتتحالف للوقوف بقوة أمام التحديات الخارجية. ولهذا السبب كانت منطقة شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ معرضة للغزوات المتتالية من الفينيقين والرومان والبيزنطيين والوندال... فغياب المصير المشترك ووحدة العقيدة والثقافة أمران جعلتا من القبائل البربرية تبحث عن هويتها المشتتة بين ولاء بعضها للبيزنطيين واستقلال البعض الآخر على أرضه طالما أنه قادر على الدفاع عنها. ولما جاء الإسلام فإنه مثل عامل وحدة ثقافية واجتماعية وعقائدية وسياسية اجتمعت حوله مختلف القبائل تنهافت على القيام بدور لبناء هذا الصرح العملاق المتمثل في "خير أمة أخرجت للناس" والمساهمة في تدعيم المكاسب كنشر الإسلام في الأندلس ودعم الحضارة الإسلامية بمعالم وشخصيات علمية لا يزال أثرها قائما إلى يوم الناس هذا. ويتشابه دور الدين الإسلامي في هذا المجال مع الدور الذي لعبه في الجزيرة العربية لما حث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على

تأسيس نظام سياسي يتجاوز الإطار القبلي وأدى إلى نشأة الدولة الإسلامية التي يتساوى فيها جميع الناس بقطع النظر عن انتماءاتهم القبلية.

ولئن كانت بداية عملية اندماج البربر بطيئة فإنها توسعت وفق السياسة التي اتبعها الولاة حيث شجع أبو المهاجر دينار - وهو غير عربي - البربر على اعتناق الإسلام وكان مرنا معهم وأسلم على يده الكثير منهم مثل القائد كسيلة.

وفي سنة 65 هـ كان ثلث جيش زهير بن قيس البلوي من البربر، كما أن كسيلة لما دخل القيروان لم يدمرها وأمن أهلها وكذلك فعلت الكاهنة. ومن جهة أخرى ساهمت سياسة القائد حسان بن النعمان في اندماج البربر في الحضارة الإسلامية لما اشترط على القبائل المنهزمة نحو 12000 رهينة لينشر في صفوفهم الدين الإسلامي ويدعم بهم الجيش لتحقيق الانتصارات كما ساهم هؤلاء الرهائن في نشر الإسلام بين ذويهم فيما بعد وشاركوا في الفتوحات ونالوا نصيبهم من الغنائم ومن الأراضي وارتقى العديد منهم في الرتب العسكرية. وتعتبر كل هذه الأمثلة نماذج إسلامية لكيفية تعامل القادة مع السكان الأصليين حيث أن المسلمين لم يصلوا إلى بلاد المغرب ناهبين ومخربين وقاهرين ومستبدين وإنما جاؤوا لرسالة أسمى ونظرة أرقى تتلخص في نشر كلمة التوحيد ورفع راية الإسلام إلى أبعد ما تسمح به الظروف والإمكانات المتاحة، وكان رد الفعل من طرف البربر بالمثل حيث أقبلت جل القبائل على الإسلام واندمجت في المجتمع الإسلامي الجديد ليس بقوة السيف وإنما بالاقتناع وترسيخ العقيدة الإسلامية لدى فئات واسعة من السكان.

وليس غريبا عن هذه الحضارة الجديدة ببلاد المغرب أن يعين الوالي - وهو عربي - رجلا من البربر وهو طارق بن زياد ليتولى قيادة الجيش الإسلامي لفتح الأندلس، وأن يتكون جند موسى بن نصير من 17000 من العرب و12000 من البربر وبذلك نجح المسلمون في نقل مجال الصراع من داخل بلاد المغرب إلى الخارج وأصبح كل من العرب والبربر في خط واحد لمواجهة القوط الغربيين ولنشر الإسلام في الأندلس.

هذه المعالم أتت لتؤسس لحضارة جديدة لم يسبق لها مثيل لدى السكان الأصليين فأمر موسى بن نصير بتعليم القرآن للبربر وأرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة علماء إلى بلاد المغرب لترسيخ القرآن والسنة النبوية وتعاليم الإسلام في صفوف البربر.

كما ساهم استيطان العرب ببلاد المغرب واختلاطهم بالسكان الأصليين في بناء المجتمع الإسلامي الجديد، فمنذ الفتوحات الأولى وفد إلى بلاد المغرب أكثر من 180000 رجل من المقاتلة العرب استقر أغلبهم فيما بعد بالقيروان وقد كتب اليعقوبي "في مدينة القيروان أخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشبه ذلك" (اليعقوبي، البلدان ص 348).

ولم تقف مظاهر الحضارة الإسلامية ببلاد المغرب عند هذا الحد بل شملت ميادين كانت مجهولة من قبل مثل العلوم والفنون والعمارة.

2 - تطور العلوم ببلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي: شهد المغرب الإسلامي نهضة علمية تبرز معالمها من خلال تعدد مراكز العلم كجامع عقبة بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس وجامع قرطبة بالأندلس... وقد اشتهر الولاة والأمراء بحذقهم للعلوم واللغات والفنون والآداب مثل ابراهيم بن الأغلب الذي أجاد الشعر والبلاغة والمعز لدين الله الفاطمي الذي تكلم عدة لغات كالبربرية والرومية والسودانية. وبرز في إفريقية العديد من العلماء المتخرجين من جامعة القيروان فاشتهر في اللغة والأدب ابن الطرماح وأحمد اللؤلؤي ومحمد بن جعفر القزاز، وفي الفلسفة أبو بكر القمودي وسعيد بن الحداد. كما تأسست بالقيروان مدرسة للطب واشتهر فيها عدد من الأطباء مثل اسحاق بن عمران ومحمد بن الجزار وخاصة أحمد بن الجزار صاحب كتاب "زاد المسافر".

كما تطور علم الجغرافيا واستغل في أغراض تطبيقية كالتيجارة، وعلم التاريخ والأنساب وقد اشتهر فيه ابن حيان وابن حزم القرطبي والقاضي النعمان.

وقد ساهم الغرب الإسلامي مساهمة فعالة في إثراء الحضارة الإسلامية خاصة في المجال الفكري فبرز العديد من المفكرين ومن أبرزهم ابن رشد الفقيه والقاضي والفيلسوف والطبيب الذي ولد سنة 530 هـ/1126 م بقرطبة وعاصر الفيلسوف ابن طفيل والطبيب ابن زهر، وعاش ابن رشد بين الأندلس والمغرب الأقصى وألف العديد من الكتب أهمها "تهافت التهافت" و"فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال" و"الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" و"الكليات في الطب" وصنّف فيه ابن رشد الأدوية حسب فعاليتها وآثارها. كما شرح ابن رشد فلسفة أرسطو ونقلها إلى الغرب ولخص مؤلفات جالينوس في الطب وأقبل الغرب المسيحي على مؤلفاته باعتباره أبرز مفكري التيار العقلاني داخل الفكر العربي الإسلامي ومرجعاً هاماً في الفكر الأوروبي فشكّل بذلك نقطة تواصل وتفاعل بين الثقافتين الإسلامية والمسيحية.

كما أفرزت الحضارة الإسلامية ببلاد المغرب عالماً اشتهر بمؤلفاته الجغرافية رغم انه كتب في علم النبات والأدوية وهو الإدريسي الذي ولد في مدينة سبتة بالمغرب الأقصى في أواخر القرن الخامس هجري وتنسب عائلته إلى الأشراف الأدارسة العلويين ودرس في قرطبة ثم تنقل في عدة بلدان وألّف عدة كتب من أهمها "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" و"الأدوية المفردة". وأسس الإدريسي جغرافيته على مفاهيم علمية صحيحة أهمها كروية الأرض ووجود خط الاستواء والأقاليم المناخية وتأثير الجبال في تكيف المناخ وتوجيه الرياح ونزول الأمطار، كما أنجز الإدريسي خريطة العالم المعروف في ذلك الوقت على شكل كروي وذلك قبل أن يثبت العلم الحديث صحة هذا الشكل.

وتجاوز الإشعاع العلمي لبلاد المغرب حدود المنطقة الإفريقية حيث انتقل الإدريسي إلى جزيرة صقلية وعاش في قصر ملكها روجار الثاني الذي كلفه بتأليف كتاب شامل في وصف مملكته والبلدان المعروفة في ذلك العهد. وقد أشار ابن خلدون إلى تلك العلاقة حينما كتب "ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي ألفه العلوي الإدريسي الحمودي لملك صقلية من الإفرنج وهو روجار بن روجار عندما كان نازلاً عليه بصقلية... وكان تأليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتباً جمّة للمسعودي وابن خرداذبة والحوقلي وابن إسحاق المنجم وبطليموس والعذري وغيرهم..." (ابن خلدون، المقدمة، ص 68).

3 - ازدهار فن العمارة الإسلامية ببلاد المغرب: شهد الغرب الإسلامي نهضة عمرانية لم يسبق لها مثيل تميزت بتعدد المدن إلى حد بروز شبكة حضرية متكونة من مدن كبرى ووسطى وصغرى، واشتهرت المدن الهامة بتنوع خصوصياتها المعمارية كالجوامع والقصور المتميزة بأشكالها الفنية المزخرفة.

أ - تعدد المدن الكبرى بالغرب الإسلامي: تأسست بالغرب الإسلامي شبكة حضرية متمحورة حول المدن الكبرى التي أسسها الأمراء واتخذوها عواصم لدولهم وقواعد لجيوشهم مثل القيروان وفاس وسجلماسة وتيارت (تاهرت) وقرطبة بالأندلس. ونشأت المدن المتوسطة والصغرى على طول المسالك والطرق التي اتجهت نحو المشرق وباتجاه بلاد السودان جنوبا.

- مدينة القيروان: تم اختيار موضع القيروان على سهل فسيح حيث شيدت على أنقاض حصن بيزنطي من طرف عقبة بن نافع. وكانت القيروان في موقع حصين بعيدة عن البحر لتفادي غزوات البيزنطيين وهي في سهل خصب تتوفر به المراعي وعلى طريق المسالك التجارية الرابطة بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب. وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تم تجهيز المدينة بفسقيات وهي مواجل كبيرة الحجم تقع شمال المدينة وجنوبها تجمع بها المياه لحاجة السكان كما توسعت أسواقها وأحيطت بسور يبلغ عرضه خمسة أمتار، وامتدت المدينة خاصة في العهد الأغلبي فشيدت القصور خاصة في العباسية ورقادة وصيرة المنصورية وازدهرت صناعاتها وقصدها الناس من كل مكان للتعلّم والتجارة والإقامة حتى أصبحت من أهم الحواضر الإسلامية.

- مدينة المهديّة: تقع المهديّة على الساحل الشرقي لإفريقية، أسسها عبيد الله المهدي سنة 302 هـ على موقع روماني قديم يسمى جُمّة واختارها عاصمة للدولة الفاطمية عوضا عن القيروان. وقسم المهدي عاصمته إلى قسمين أحدهما مقر الدولة والجامع والأسواق ودار الصناعة والميناء المنقور في الصخر ويدعى المهديّة وأحاطها بسور، والثاني لعامة الناس ويدعى زويلة ويفصل بين المدينتين باب الفتوح، ولا تزال معالم المهديّة الفاطمية قائمة إلى يومنا هذا شاهدة على شموخ الحضارة الإسلامية بالغرب الإسلامي رغم الحروب والحملات التدميرية التي تعرضت لها. ذكر البكري حول المهديّة "ولمدينتها بابا حديد لا خشب فيهما زنة كل باب ألف قنطار وطوله ثلاثون شبرا في كل مسمار من مساميرها ستة أرتال... وفي المهديّة من المواجل العظام 360... ومرساها منقور من حجر صلد يسع ثلاثين مركبا وعلى طرف المرسي بركان بينهما سلسلة من حديد... وكان لها أرباض كثيرة أهلة عامرة أقرها إليها رضى زويلة فيه الأسواق والحمامات... " (البكري، المسالك ص 29-31).

- مدينة سجلماسة: هي مدينة صحراوية تقع في تافيلالت تنطلق منها القوافل التجارية إلى بلاد السودان جنوبا وإلى فاس شمالا. تأسست سجلماسة سنة 140 هـ لتكون عاصمة لبني مدرار الصفرين ومركزا تجاريا صحراويا هاما. شيدت بها القصور والمصانع والمساجد ولها سور يفتح بواسطة 12 بابا ولها أرباض كثيرة. وكان ازدهار سجلماسة مرتبطا بنشاط التجارة الصحراوية حيث تراكمت إيرادات الذهب من بلاد السودان ومرت بها القوافل قادمة من فاس وأغمات والسوس والسودان وحققت تجارتها أرباحا طائلة.

- مدينة فاس: أنشأها الأدارسة سنة 172 هـ وتقع أسفل جبال الأطلس الأوسط في سهل فسيح واشتهرت بجامع القرويين الذي يعتبر من أهم معالم المدينة إلى يومنا هذا.

تعتبر هذه المدن الكبرى أمثلة معبرة عن حركة التعمير والتمدين التي شهدها المغرب الإسلامي بعد الفتح ولا تزال هذه المدن قائمة إلى اليوم لتؤكد تواصل الحضارة الإسلامية ببلاد المغرب على عكس المدن التي شيدت زمن الفينيقيين والرومان والبيزنطيين والتي لم يبق منها سوى بعض الآثار.

ب - تطور فن العمارة بالمغرب الإسلامي: يبرز ازدهار الفن المعماري ببلاد المغرب من خلال العمارة الدينية والمتمثلة في المساجد والجموع والرباطات، والعمارة المدنية المتكونة من القصور والمنازل والمنشآت المائية الكبرى.

- **المساجد والجموع:** شيدت المساجد والجموع في جميع مناطق المغرب الإسلامي بالأرياف والمدن وهي تدل على متانة العلاقة القائمة بين السكان والدين الجديد. وكانت خطة بناء الجموع متشابهة حيث تكوّن أغلبها من الصحن وقاعة الصلاة والمحراب مع تواجد الأعمدة الرخامية والشمسيات البلورية والقباب.

مسجد القيروان: ويعتبر جامع القيروان من أهم المنشآت الدينية ببلاد المغرب، شيّد على مراحل عديدة وتم توسيعه عدة مرات. تنقسم قاعة الصلاة إلى 17 بلاطة أعرضها البلاطة الوسطى التي تؤدي إلى المحراب، ويقوم الجامع على أعمدة تعلوها تيجان ومسندات خشبية وحوامل عقود وعقود تضمن الإضاءة والتهوية، ويضم الجامع قبة المحراب وقبة البهو ومنارة قاعدتها ذات شكل مربع تعلوها قبة. أما المحراب فتغطيه لوحات رخامية تعلوها الزخارف الجصية والخشب المذهب.

- **الرباطات:** الرباط منشأة دينية وتعليمية وعسكرية تبنى على السواحل لمراقبتها من الغزوات البحرية وكانت الرباطات عبارة عن حصون دفاعية تتكون من عدة غرف ومسجد وتوجد أبراج دائرية في زواياها ويحتوي كل

رباط على منارة مستديرة الشكل. ومن أهم الرباطات ما شيد على ساحل سوسة والمنستير وكذلك رباطات المدن المغربية.

- **القصور:** يعتبر تشييد القصور دليلا على أوج الرخاء الاقتصادي والرفاه الاجتماعي الذي تحقق خاصة للفئات الثرية المقيمة بالمدن وخاصة بالقيروان مثل قصر الصحن بقرادة وكان يتكون من 109 غرفة ويحيط به سور ضلعه 104 مترا. كما تعددت القصور بفاس وسجلماسة وكذلك بمدن الأندلس وخاصة الزهراء وقرطبة، ولا تزال آثار هذه القصور قائمة إلى اليوم.

وتميزت العمارة المغربية بالزخرفة كالنقوش والعقود والأعمدة والتيجان والحنيات وكانت هذه الأشكال الفنية تنحت وتنقش على الرخام والحجارة والجص والخشب إضافة إلى الرسوم والألوان التي زينت المواد الخزفية وتكونت من أشكال طبيعية مثل ورق العنب والبراعم وجريد النخل إضافة على الأشكال الهندسية كالظفائر المعقدة والحروف العربية المكتوبة بالقلم الكوفي.

الدرس الثالث عشر: آثار الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

تمهيد:

كان للفتح الإسلامي في بلاد المغرب آثارا عميقة شملت النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتجلى بعض هذه الآثار بصفة مباشرة، عقب الفتح الإسلامي، كما أن بعضها الآخر تجلى فيما بعد في أطوار مختلفة يمكن أن نجملها فيما يلي:

1- نشر الإسلام: لم يصطدم الفاتحون بمقاومة جماعية بل يبدو أنهم كانوا يحاولون أن يضموا البربر إلى صفوفهم ونشر الإسلام بينهم، عوض محاربتهم، وهي التعاليم التي ينص عليها دينهم، ففي نواح كثيرة من المغرب لم يقم الفتح الإسلامي سوى بإدخال دين جديد، وإقرار أو توطيد سيادة قبيلة، أو رئيس، دون تغيير عميق في نظام البلاد وحياة العباد.

2- التأثير الديني (العقدي): إن إقرار هذا الدين في عموم المغرب كان بعد إتمام الفتح، لكن يمكن القول أن الأثر الديني ان في الشمال أعمق منه في سائر جهات المغرب، أما في المغرب الأقصى لم تتمكن مبادئ الدين الصحيحة من نفوس البربر حيث نجد البرغواطيين قد أحدثوا بدعا كثيرة في الإسلام، ولم تستطع دويلات القرن الرابع الهجري أن تضع حدا لهذه البدع حتى قضى عليها المرابطون بزعامة يوسف بن تاشفين.

3- اشتراك البربر في فتح الأندلس: منذ مقدم عقبة بن نافع إلى تاريخ فتح الأندلس كانت كافية لجعل الكثير من البربر يعتنقون الإسلام عن عقيدة واقتناع، وكان من بين هؤلاء طارق بن زياد، الذي

تم بفضلله اقرار الإسلام في الأندلس، واستطاع البربر بفضل صدق إيمانهم واخلاصهم لدينهم ووفاءهم للإسلام أن يستمر الحكم الإسلامي في الأندلس ثمانية قرون.

4-التأثير الاجتماعي: استطاع المسلمون بفضل سياسة التعايش والتسامح أن يندمجوا في المجتمع البربري وينقلوا أغلب العادات والتقاليد العربية إلى المجتمع المغربي، وزاد التأثير قوة بالمصاهرة واختلاط الأنساب.

5-تعريب المغرب: استطاع الفاتحون أن ينقلوا لسانهم العربي إلى مجتمع أمازيغي وأصبحت اللغة العربية بفضل جهود الكثير من القادة بداية بحسان بن النعمان وموسى بن نصير في الزامية تعلم اللغة وفرضها على صغار المسلمين في المغرب من الغرب والبربر، وبفضل جهود كل الدويلات التي خلقت جوا تنافسيا في مجال التعليم وبناء المدارس، وباعتبارها لغة القرآن وشرطا لأداء الواجبات الشرعية والشعائر التعبديّة، فكانت اللغة سيّدة مع الزمن حتى اتخذها البربر لأنفسهم لغة رسمية في عهد المرابطين وقبلهم، وقد شك بعض المؤرخين في أن طارق بن زياد قد ألقى خطبته الشهيرة في الأندلس بالعربية، وأي غرابة في أن يتعلم طارق وغيره من البربر اللغة العربية بعد دخول العرب إلى المغرب بنحو أربعين سنة.

ومجمل القول أن أثر الفتح الإسلامي في ميدان التعريب، أصبح يتجلى في قيام نهضة فكرية، وليس أحسن من التنويه بهذا الأثر، من شهادة وليام مارسلي التي نقلها عنه «بوسكي» في كتابه(البربر): قطعت بلاد البربر كل علاقة لها مع الغرب في القرن السابع، وذلك لترتبط بالشرق ارتباطا كليلا لا رجوع فيه، ومن غير أن يحدث من أجل ذلك نزاع داخلي أو أزمة ضمير. وأن العرب

سادات البلاد الجدد أمكنهم بعدئذ أن يتخلوا عن مزاوله السلطة المباشرة فاستطاعوا بذلك أن
يسلموا البلاد إلى نفسها، ولكنهم طبعوها بطابع عربي لن يمحي أثره أبداً، فقد عربوا المغرب، حتى
ليمكننا أن نعتبره اليوم في مجموعته تقريباً كناية قاصية من مركز العروبة.

الدرس الرابع عشر: نظم الحكم في بلاد المغرب

عناصر الدرس:

مقدمة

أولاً: السلطة التنفيذية في الدولة الإسلامية

ثانياً: طرق انعقاد الخلافة

ثالثاً: نظام الحكم في العالم الإسلامي بعد الخلفاء الراشدين

رابعاً: نظرة الفرق الإسلامية للإمامة (الخلافة) حكماً واختياراً.

مقدمة: تميز نظام الحكم في الإسلام عن غيره من الأنظمة القائمة حين تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة تميزاً تاماً. فقد كان النظام السياسي الذي أرساه النبي الكريم في دولة الإسلام الأولى، مغايراً للنموذج القبلي السائد في الجزيرة العربية، وكذلك كان مبانياً للنموذج الإمبراطوري السائد في فارس والروم، سواء من حيث الشكل أو المضمون، ما يعني أن الإسلام قد أتى بنظامٍ فريدٍ في الحكم من غير تأثر بما هو قائم، وأن ذلك النظام هو النموذج الوحيد الذي ينبغي تطبيقه، على اعتبار أنه يجسد أحكاماً شرعية تخرج من مشكاة النبوة مباشرة. ويتميز نظام الحكم في الإسلام باستناده إلى الشرع الذي يسود كافة أرجاء المجتمع والدولة، في وحدة سياسية تصوغ الأمة على اعتبارها جماعة واحدة، تباع خليفة واحداً على الحكم بكتاب الله وسنة نبيه. ولو توقفنا عند بعض الأحداث التي آلت إلى بناء دولة الإسلام، لوجدنا أن العمل على إقامة ذلك النموذج كان هدفاً تقصد النبي تحقيقه منذ بداية سعيه لإقامة الإسلام شكلاً ومضموناً.

أولاً: السلطة التنفيذية في الدولة الإسلامية:

لم يكن للرسول صلى الله عليه و سلم لقب بصفته رئيساً للدولة الإسلامية ، وبعد وفاته أصبح أبو بكر الصديق رئيساً للدولة فقبل له " يا خليفة الله " فقال لست خليفة الله و لكني خليفة رسول الله ، ثم جاء عمر فقال عمر " بل انتم المؤمنون وأنا خليفةكم " و بالتالي تعددت ألقاب رئيس الدولة الإسلامية إلى ثلاث : خليفة ، أمير المؤمنين ، إمام.

تعريف الخلافة: هي رئاسة عامة في الدين و الدنيا قوامها النظر في المصالح و تدبير شؤون الأمة و حراسة الدين و سياسة الدنيا..

ثانياً: طرق انعقاد الخلافة:

1- **البيعة:** هي طريق اختيار رئيس الدولة و هي عهد بين الأمة و الحاكم على الحكم بالشرع و طاعتهم له .
ونجد انه بموت الإمام او بعزله من منصبه وحب على الأمة ممثلة في أهل الحل و العقد أن تتصفح أحوال من يقومون بأعباء هذا المنصب فمن رأوه مستوفياً لشروط الإمامة بايعوه إماماً لهم و عليهم الترجيح بين المرشحين

2- تعيين الخليفة بولاية العهد أو الاستخلاف:

ولاية العهد هي أن يعهد الإمام إلى شخص بعينه أو بواسطة تحديد صفاته معينة فيه ليخلفه بعد وفاته ، وذلك يجوز إذا توافرت في ولي العهد شروط الخلافة و تمت له البيعة من الأمة . و بالتالي فهي تقتصر على الترشيح فقط.
و مثالها استخلاف أبو بكر لعمر، وقد اجمع كل الفقهاء ان الخلافة لا يصح ان تورث

3- انعقاد الخلافة بالقهر و الغلبة:

إن الفقهاء قبلوا إمامة الغلبة اتقاء للفتنة و خشية الفرقة وان طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن للدماء.

ثالثاً: نظام الحكم في العالم الإسلامي بعد الخلفاء الراشدين

1- **في المشرق:** كان المسلمون ينتخبون الخليفة وهو الإمام شورى، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحافظ الخلفاء على هذا التقليد وساروا عليه.

وبوصول الأمويين إلى سدة الحكم تغيرت طريقة الاختيار من الشورى إلى التوريث وتحولت الخلافة إلى ملك عضود، وسار على هذا التقليد الدولة العباسية.

2- **في المغرب الإسلامي:** لم يختلف نظام الحكم في بلاد المغرب عن مثيلاتها في دول المشرق، وكانت تحاكيه في جميع الأمور العامة وحتى في بعض الجزئيات

رابعاً: نظرة الفرق الإسلامية للإمامة (الخليفة) حكماً واختياراً.

إذا استثنينا الشيعة فإن فقهاء المسلمين يجمعون على أن الطريق الوحيد لاختيار الخليفة هو اختيار المسلمين ، أما الشيعة فقد ذهبوا إلى أن الخليفة يختاره رسول الله .

أهل السنة والجماعة: بالانتخاب والشورى وشرط القرشية.

الخوارج: بالإستحقاق ولو كان عبدا حبشياً.

الشيعة: بالنسب والوراثة والنص.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع التاريخ السياسي للمغرب في العصر الإسلامي الوسيط نختتم دراستنا بتسجيل الملاحظات التالية :

- الفاتحين المسلمين جاءوا لبلاد المغرب لأجل نشر الدين الإسلامي، ولم يكن مجيئهم التماسا للغنائم كما يزعم المستشرقين ومون يرى رأيهم من المؤرخين.
- ساهم البربر في عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث دخلت أعداد كثيرة منهم في الإسلام وخاصة في عهد الفاتح أبو المهاجر دينار الذي عاملهم معاملة حسنة، والفاتح حسان بن النعمان الذي انضمت إليه جموع كثيرة منهم بعد قضاءه على الكاهنة.
- تميز عصر الولاة في بلاد المغرب بالصراع المذهبي والعرقي، وابتاع بعض الولاة سياسة القسوة والظلم ضد الرعية، مع وجود فترات من السلم والرخاء لتمييز بعض الولاة بالعدل.
- ظهور الحركات الخارجية في بلاد المغرب في عصر الولاة، والتي تمكن زعماءها بعد نشاط دعوي وحربي كبير من تأسيس دولتين، إحداهما صفيرية المذهب وهي الدولة المدرارية في المغرب الأقصى وأخرى إباضية المذهب وهي الدولة الرستمية في المغرب الأوسط.
- توحدت بلاد المغرب تحت سلطة واحدة في عصر الولاة، ثم انقسمت إلى أربع دول رئيسية المدرارية والرستمية والإدريسية والأغلبية، وتوحدت من جديد في أواخر القرن الثالث للهجرة في زمن الدولة العبيدية، ثم انقسمت من جديد إلى ثلاثة دول وهي الزيرية والحماذية والمرابطية، ثم توحد المغرب من جديد مع دولة الموحيدين في منتصف القرن السادس للهجرة، ثم انقسمت البلاد إلى أربع دول رئيسية الحفصية والزيرية والمرينية في المغرب بالإضافة إلى دولة بني الأحمر في الأندلس.
- نشأت دول عديدة في بلاد المغرب بعضها مالي للخلافة العباسية في المشرق مثل دولتي الأغالبة والمرابطين، وبعضها معادي لها مثل الدولتين الإدريسية والعبيدية (الفاطمية).
- عرفت بلاد المغرب العديد من الأحداث التاريخية والسياسية البارزة والتي كان لها تأثيرا بالغاً على هذه البلاد في جميع الجوانب السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مثل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المشهور بصاحب الحمار على العبيديين (الفاطميين) سنة 332-336هـ/944-948م، انتقال الفاطميين إلى مصر سنة 362هـ/973م وترك الزيريين حكاما على بلاد المغرب، تخلي الزيريين والحماديين على المذهب الشيعي وتحولهم للمذهب السني وولائهم للعباسيين بدلا من العبيديين في حدود سنة 440هـ/1048م، وزحف القبائل العربية الهلالية على بلاد المغرب للانتقام من حكامها بإيعاز من الفاطميين في مصر في حدود سنة 442هـ/1050م،

تغيير الحماديين لعاصمة دولتهم من القلعة إلى بجاية سنة 461هـ/1069م، إنشاء الرباط من قبل الفقيه عبد الله بن ياسين وقيام دولة المرابطين، ظهور دعوة ابن تومرت في بلاد المغرب وصراعه مع المرابطين، تعرض سواحل بلاد المغرب للغزو النورماندي واختلال المهديّة عاصمة الزييين عام 543هـ/1148م، سقوط دولة الموحدين وانقسام بلاد المغرب إلى ثلاث كيانات سياسية الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، الدولة المرينية في المغرب الأقصى، وغيرها من الأحداث.

- تحكم العامل السياسي بين دول المغرب الإسلامي بشكل كبير في نوعية علاقاتها فيما بينها، فحينما تكون العلاقات السياسية جيدة، تنعكس بالإيجاب على العلاقات التجارية والثقافية وتصبح قوية ووثيقة، والعكس صحيح.

- دول المغرب الأوسط والمتمثلة في الدولة الرستمية، الحمادية، الزيانية لم يكن الموقع الجغرافي في صالحها لأنها تتوسط بلاد المغرب، ف وقعت بذلك بين المطرقة والسندان، فتعرضت لحروب كثيرة من جيرانها في الجهة الشرقية والغربية، خاصة الدولة الزيانية التي عاشت مهددة باستمرار من الدولة الحفصية في المغرب الأدنى من جهة، ومن الدولة المرينية في المغرب الأقصى من جهة أخرى.

- كانت بلاد المغرب الإسلامي ميدان صراع للقوى الكبرى في العالم الإسلامي، وتتمثل هذه القوى في الخلافة العباسية والخلافة الأموية والخلافة العبيدية (الفاطمية) فحاولت كل هذه القوى الاستيلاء على بلاد المغرب أو أن تصبح دولها تحت سيطرتها ونفوذها.

مرفقات

(ملاحق)

نماذج لأسئلة الامتحان وأجوبتها النموذجية - في سنوات مختلفة.

جامعة غرداية

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

امتحان السداسي الأول في مقياس: التاريخ السياسي للمغرب

تخصص: ماستر 1 الغرب الإسلامي

التاريخ : الأربعاء 29 جانفي 2020

التوقيت: 8:30—10:00

عرف المغرب الإسلامي تحولات كبرى أدت إلى تغيير خارطته السياسية، فانشطر إلى دويلات منفصلة ومستقلة عن الخلافة المركزية في المشرق.

السؤال الأول: أ-صنيف هذه الدويلات المنفصلة منذ ظهورها بعد الفتح الإسلامي إلى قبيل مجيئ العثمانيين مقارنة مع الخلافة المركزية في المشرق سياسيا ومذهبيا؟(ملاحظة: كل الدويلات)

ب-ما هي أسباب انفصال دول المغرب؟ أذكرها مع شرح أحدها؟

السؤال الثاني: يقال: "كل تغيير سياسي يسبقه تغيير فكري ومذهبي" ما مدى صحة هذه المقولة بالنظر إلى التحولات الكبرى التي حصلت في المغرب؟ مددلا على كلامك؟

السؤال الثالث: لم يختلف نظام الحكم في المغرب عن المشرق، بيّن ذلك؟ وكيف كانت نظرة الفرق الأخرى للإمامة؟

مع تحيات أستاذ المقياس: صلاح الدين وانس

بالتوفيق

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

امتحان السداسي الأول في مادة: مصادر تاريخ الغرب الإسلامي

تخصص: ماستر 1 الغرب الإسلامي

التاريخ : الاثنين 24 جانفي 2022 الموافق الموافق لـ 21 جمادى الآخر 1443 هـ

التوقيت: 08:30—09:30

السؤال الأول: تعد المصادر البنينة الأساسية للكتابة التاريخية لذلك قيل: "لا تاريخ بلا مصادر"

1- اشرح هذه العبارة؟ موضحا ما المقصود بالمصدر؟ والفرق بينه وبين المرجع؟

2- من خلال ما درست أذكر مصدرين مع مؤلفيهما في كل من: التاريخ العام، كتب التراجم، أمهات الكتب المؤلفة في إحصاء المصادر العربية ، الجغرافيا؟

السؤال الثاني: في نظرك ومن خلال ما درست كيف ساهمت رواية الأخبار وتدوينها في تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين؟

مع تحيات أستاذ المقياس: صلاح الدين وانس

بالتوفيق

شرح خطة العمل في التطبيقات

أعتمد في طريقة العمل على الطالب أن يختار من أحد المواضيع ويعالجها بإحدى الطرق التالية:

بطاقة قراءة في كتاب أو بحث تعريفي أو تحليل نص تاريخي

كل طالب ملزم بإعداد بحث بمفرده

المواضيع هي: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، آل صالح بناكور، المدراريون، الأغلبية، الرستميون، الإمارات السليمانية، الأدارسة، برغواطة، الزيريون، الحماديون، المرابطون، الموحدون. الحفصيون، الزيانيون، المرينيون.

الخطوات المنهجية لبطاقة قراءة كتاب (جمع وإعداد: الدكتور صلاح الدين وانس)

الكتب: بطاقة قراءة في كتاب

أولاً: الوصف الظاهري للكتاب

ثانياً: التعريف بالمؤلف وأهم أعماله

ثالثاً: الوصف الباطني للكتاب انطلاقاً من:

- 1- إطلالة عامة على الكتاب (محتواه)
- 2- تلخيص القسم الخاص بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب، آل صالح بناكور، المدراريون، الأغلبية، الرستميون، الإمارات السليمانية، الأدارسة، برغواطة، الزيريون، الحماديون، المرابطون، الموحدون. الحفصيون، الزيانيون، المرينيون.
- 3- نقد ومؤخذات الكتاب.

رابعاً: خاتمة تتضمن رأي الطالب حول أهمية الكتاب.

خامساً: أهم المصادر والمراجع.

البحوث:

يراعى فيه المنهجية والدقة والاختصار.

ملاحظه هامة: كل طالب ملزم بملخص لا يتجاوز الورقة كحد أدنى والورقتين كحد أقصى لزملائه في المجموعة وترفق مع البحث

بالتوفيق

نماذج لبعض التكاليف للطلبة:

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السنة الأولى ماستر

قائمة الأعمال الموجهة لمقياس: مصادر تاريخ الغرب الإسلامي

أستاذ المقياس: الدكتور: وانس صلاح الدين

الرقم	الاسم واللقب	عنوان البحث
01		الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني
02		كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس لابن بشكوال
03		جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي
04		ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس
05		قضاة قرطبة وعلماء إفريقية للخشني
06		الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب كل الأجزاء
07		ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون كل الأجزاء
08		المغرب في حلى المغرب لابن سعيد
09		تريب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك للقاضي عياض
10		نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري كل الأجزاء
11		ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة
12		ابن الأبار: الحلة السيرة
13		البلاذري: فتوح البلدان
14		البكري: المسالك والممالك
15		البيدق: أخبار المهدي بن تومرت
16		الغرناطي: المعرب عن بعض عجائب المغرب
17		أبو الحجاج: تاريخ الموحدين أولاد عبد المؤمن
18		ابن خلكان: وفيات الأعيان
19		الحسن الوزان: وصف إفريقيا
20		تاريخ إفريقية والمغرب للرفيق القيرواني

الخطوات المنهجية لتحليل نص تاريخي (جمع وإعداد: الدكتور صلاح الدين وانس)

1- قراءة النص أكثر من مرة

2- التحليل الظاهري:

- تحديد الاطار الزمكاني (الزماني والمكاني)

- تحديد طبيعة النص (سياسي، ثقافي، عسكري....)

- شرح المصطلحات الغامضة في النص

- تعريف الكاتب والكتاب

3- التحليل الباطني:

- اختيار عنوان للنص اذا لم يكن له عنوان.

- استخراج الفكرة العامة للنص والأفكار الأساسية حسب الفقرات.

- نقد أفكار النص من حيث: الموضوعية والأمانة العلمية

4- أهم القيم والمعارف والدروس والعبر المستفادة من النص.

ملاحظة هامة:

الغرض من هذه التكاليفات وهي: تدريب الطالب على النقد والتحليل والمقارنة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- المصادر التاريخية : (كتب التاريخ العام - كتب الفرق والمذاهب).
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م) : الحلة السبئية، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ/1232م) : الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، مج10، 1966.
- _____ : الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، مج2، مج3، 1987.
- _____ : الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، مج4، مج5، مج6، مج8، مج9، 1987.
- البيهقي، أبو بكر بن علي الصنهاجي (توفي أواخر القرن السادس الهجري) : أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد السليماني (ت 776هـ/1374م) : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964.
- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/1406م) : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج4، 2000.
- _____ : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج6، 1971.
- الدباغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت 696هـ/1296م) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبوي الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، ط1، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ج1، 1968.
- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، مج30، 1994.

- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 425هـ/1033م) : قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 726هـ/1325م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1153م) : الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسين فاهود، ط2، دار المعرفة، بيروت، ج1، 1993.
- ابن صاحب الصلاة، عبد المالك (ت 594هـ/1198م) : المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس سفي عهد الموحدين)، تحقيق عبد الهادي التازي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، ج4، دت.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمان بن عبد الله (ت 257هـ/871م) : فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، ج1، دت.
- ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1983.
- _____ : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، ط5، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1418هـ/1998م.
- _____ : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ط2، محمد بن تاويت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ج5، 1985.
- المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد (توفي بعد سنة 460هـ/1068م) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان إفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1994.
- مجهول (ملؤف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري) : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.

- مجهول (عاش في القرن الثامن الهجري، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2005.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988.

المصادر الجغرافية :

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت 560هـ/1064م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ/1828م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.
- الجميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (توفي في منتصف القرن الثامن الهجري)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/912م)، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العرب، بيروت، 1988.
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (توفي في أواسط القرن السادس الهجري)، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دت.
- مجهول (المؤلف مراكشي من أهل القرن السادس الهجري)، الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، بغداد، دت.

المراجع باللغة العربية :

- أحمد محمود حسن، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

- إسماعيل عبد الرزاق محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- إسماعيل محمود، لأدراسة (172-375هـ) حقائق جديدة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، 2007.
- التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدولة الإدارية، مطابع فضالة، المحمدية، مج4، 1987.
- الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلين ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1980.
- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
- _____ : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)- (869هـ/1465م)، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
- حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2011.
- حسني الخربوطلي علي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972.
- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.
- خضير أحمد حسن، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، دت.
- عبد الرؤوف الفقي عصام الدين، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نضرة الشرق، القاهرة، دت.
- زيتون محمد محمد، المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990.
- سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008.

- سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي (172-223هـ/788-835م)، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
- السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، 1954.
- الصلاي محمد علي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، القسم الأول دولة المرابطين في الشمال الإفريقي، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
- الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
- العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
- عمر موسى عز الدين، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.
- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس - عصر الموحدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج5، 2002.
- عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1991.
- بن قرية صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- لقبال موسى، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشد، القاهرة، 2004.
- محمد جمال الدين عبد الله، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصلى إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
- مصطفى مسعد سامية، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912-1008م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000.
- المعموري الطاهر، الغزالي وعلماء المغرب، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

- النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت - حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثاره بالمغرب، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

المراجع المعربة :

- برنشفيك روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1988.

- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في ع هد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ط1، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1992.

- ميراندا أميروسيو هويشي، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكميز، ط2، منشورات الزمن، المغرب، 2015.

الرسائل الجامعية :

- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، نابلس، فلسطين، 2002.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	مقدمة
5	
8	الدرس التمهيدي (التعريف بالمادة ومحتواها)
20	محتوى المادة
21	الدرس الأول: نبذة تعريفية عن المغرب الإسلامي
26	الدرس الثاني: التحولات السياسية في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى قبيل مجيئ العثمانيين.
30	الدرس الثالث: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب
45	الدرس الرابع: عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي أبعاده وآثاره.
47	الدرس الخامس: الدويلات المستقلة الأسباب العوامل والآثار
50	الدرس السادس: دول المستقلة (ق 2 - 8/10م): المذارايون، الرستميون
50	أولا: الدبلة المذاراية في المغرب الأقصى
54	ثانيا: الدولة الرستمية في المغرب الأوسط
58	الدرس السابع: الأدارسة، الفاطميون.
58	أولا: الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى
64	ثانيا: الدولة العبديية (الفاطمية) في المغرب الإسلامي
68	الدرس الثامن: الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى

70	الدرس التاسع: الدول المستقلة بعد القرن الرابع الهجري الموحدين، الحماديون.
70	أولا: الدولة الزييرية في المغرب الإسلامي
72	ثانيا: الدولة الحمادية في المغرب الأوسط
76	الدرس العاشر: المرابطون، الموحدون.
76	أولا: دولة المرابطين في المغرب الإسلامي
79	ثانيا: دولة الموحدين في المغرب الإسلامي
85	الدرس الحادي عشر: دول ما بعد الموحدين
85	أولا: الدولة الحفصية في المغرب الأدنى
88	ثانيا : الدولة الزيانية في المغرب الأوسط
91	ثالثا : دولة بني مرين في المغرب الأقصى
93	الدرس الثاني عشر: الأبعاد الحضارية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب
100	الدرس الثالث عشر: آثار الفتح الاسلامي لبلاد المغرب
103	الدرس الرابع عشر: نظم الحكم في بلاد المغرب
106	الخاتمة
109	المرفقات (ملاحق)
115	المصادر والمراجع
122	فهرس المحتويات